قبل
أن
يراها
أماني سليمان

رواية قبل أن يراها

بعض أحداث هذه الرواية واقعيّ

الكاتبة أماني سليمان

رأي أحد القرّاء

لا استطيع وصف فرحتي كم كانت كبيرة عندما قرأت رواية (قبل أن يراها) لأسباب عديدة أهمها أن الشباب في مجتمعنا أصبحوا يملكون وعي و نضج كبيرين

بداية الكاتبة أماني سليمان التي ألّفت القصائد النثرية بتلك البساطة و القوة معاً و الدليل هو تأثيرها القوي على حياة الشاب بطل الرواية و طبعاً تأثير كلماتها على الكثير من القراء في الوطن العربي

و لا أبالغ حين أقول الوطن العربي لأن صدى كلماتها و أفكارها وصل للقاصي و الداني يناسب الكبير و الصغير و ذلك لعفويّة عبارتها و وضوحها و المشاعر الوافرة المتدفقة بغزارة بين أنهر أسطرها

أخذت روايتها الأولى (يضمدها الأمل) شهرة كبيرة و كانت ردود القرّاء إيجابية حيث أن الغالبية اتفقوا بأنهم شعروا أنهم أبطال الرواية و إن دل ذلك على شيء فهو يدل على حنكتها في سرد الأحداث

لكني لمست التقدم الواضح في رواية (قبل أن يراها) و أكثر ما يميزها أن رواياتها قصيرة لكنها تحمل أحداث كثيرة و مشاعر جميلة و تعالج مشاكل كثرت في مجتمعنا بطريقة بسيطة و سلسة كما في روايتها (أرواح تتأرجح على كفوف السحر)

في رواية (قبل أن يراها) وضّحت رأي الشاب المضرب عن الزواج رغم معاناة والدته لتزوجه إلّا أنها اقتنعت بوجهة نظر ابنها

و بينت الرواية أيضاً جانباً جميلاً من الحب البسيط لا استطيع وصفة إلّا بحب أيام زمان

و بينت العدل و لو كان الظالم أقرب الناس

و بينت جمال العلاقة بين الوالد و ابنته و دفاعه المستميت عن سعادتها

و أعجبني تطرقها لإحدى العادات القديمة التي تكلمت عنها بشكل جميل من وجهة نظر الإسلام و الانسانية

و كان للكيد و الخبث نصيب في هذه الرواية إلّا أن الحق ينتصر في النهاية

و لن انسى تلك الفكرة الجميلة في اختيار كتاب يرافق البطل في رحلة إبحاره في سفينة الحب حيث كانت أمواج الأفكار تتلاطم في رأسه

و مع ذلك لا أنكر أن رواياتها تحوي العديد من الأخطاء و هذا يدل على عدم تدقيقها من قبل أحد المختصين

قامت عمة وائل و أمه بمحاولات فاشلة من أجل إقناعه بالزواج لم يعرف أحداً لما هو عازف عن الزواج و رافضاً الفكرة فالسبب لحد الآن مجهول خاصةً أنه لا يمنعه مانع و ليس لديه أي عائق على حد تعبير من حوله عريس لقطة دين و أخلاق رفيعة و شهادة و جمال و مال لا ينقصه سوى عروس تؤنسه

جاءت عمته عصراً كعادتها للجلوس مع والدته و الحديث في أمر زواجه بينما هو يتوضأ سمعها تسرّ لأمه بأن هناك فتاة لا تشبه باقي الفتيات بل تتفوق عليهنّ بكل شيء جمال و نعومة و رِقة و أدب و أخلاق و ثقافة لا ينقصها شيء ونسبها رفيع لكنّي يئست من إخبار وائل لأنه مضرب عن الزواج وافقتها أم وائل بأنها هي الأخرى يئست و لن تكلف نفسها عناء إخباره و رفضه المتكرر و المشاكل التي تعقب كل محاولة هزت برأسها عمته و قالت أتمنى أن تكون

شمس من نصيبه لأنها تناسبه جداً و لن ترى عروس مثلها فهي جوهرة لا تقدر بثمن

دخل وائل الغرفة و ألقى التحية على عمته و بدأ بالصلاة و هو يشعر بنظرات عمته و أمه المتبادلة حتى أنه يكاد يجزم بأنهما رفعتا يديهما للسماء بحركة تدل على الدعاء هو يعرف الدعاء دون أن يسمعه بأن يهديه الله و يتزوج و أجزم بأن عمته أكملت الدعاء لتكون هذه الفتاة بالذات من نصيبه لكنه أكمل صلاته و بعد أن انتهى استأذن من عمته و خرج من المنزل

بدأ يمشي في شوارع المدينة على غير هدى كل ما يجول في خاطره هو عدة أسئلة

من تكون هذه الفتاة ؟

و لما دخلت قلبي دون أن أراها و أعرفها ؟

و لماذا أفكر بها ؟

ألديها سحر خاص بمجرد ذكر اسمها شعرتُ بجاذبية تشدّني نحوها؟

هل سنتفق ؟ هل ستكون أفكارنا متشابهة ؟

هل ستكن بيننا قواسم مشتركة تجمعنا ؟

أم أنني أفكر بها لأنني لا أعرفها و عندما أراها سينتابني الشعور ذاته الذي ينتابني في كل مرّة بأنني أختنق و أتمنى بأني صممت على موقفي و لم أخضع لتهديدات أمي

عاد يكلمه قلبه و يحثه أن يذهب و يقابلها و بذلك لن تخسر شيء فقط ستقطع الشك باليقين قد تكون أميرتك المنتظرة يقاطع حديث قلبه عقله أنتَ لا تريد الزواج لست مهيأ نفسياً لهذه الخطوة فلا تقدم على شيء و أنت في شكٍ من أمرك

من الذي سيفوز في هذا الصراع داخله عقله أم قلبه ؟

عاد للمنزل و هو يشعر أن قدماه لو امتلكتا لسان لتكلمتا و شكتا و شتمتاه لأنه لم يرحمهما أكثر من ساعتين من المشي المتواصل

ثم سأل نفسه لما أعاقب نفسي ؟ أهذه عقوبة ؟

أم أني أردت أن أكون بمفردي و أفكر ؟

لم يهتدي لجواب يهدئ من حِدّة تفكيره ليعزي ألم قدماه بهذا الجواب فهو دخلَ للمنزل كما خرجَ منه أفكاره هائجة كموج البحر حين تلعب به العواصف

لم تكن عمته قد غادرت بعد لكنها همّت بالمغادرة و على غير العادة أصرّ أن تبقى عندهم لوقت أطول لتناول طعام العشاء سوياً

كست الدهشة ملامح أمه و عمته و لم تعرفا سبب ذلك الإصرار

و خاصةً أنه في الآونة الأخيرة أصبح يتذمر من وجود عمته بسبب موضوع الزواج التي لا تكف عن ملاحقته

ذهبت والدته لتحضير العشاء و هو بدأ يمازح عمته و يحدثها و هو يعتقد أنّه بذلك يحثها على الكلام عن الزواج فتعرج و تحدّثه بدورها عن الفتاة كي يعرف ابنة من هذه الفتاة و يراها من بعيد ليثبت لنفسه أنها ليست مختلفة و تشبه الفتيات السابقات و يرضي غروره الذي يقوده بعكس التيار فقطار العمر يمضي مسرعاً لا ينتظر أحد و هو لا يزال جالساً في مقعده تكبله أفكاره التي يثني عليها غروره

هذه هي الحقيقة التي صارح وائل نفسه بها و ذلك بعد سنوات طويلة من سعي والدته و عمته ليغير رأيه و يتزوج لكن غروره أوقف تلك المصارحة

- وائل يا وائل فيما أنت شارد الذهن ؟

- لا شيء عمتي أكملي حديثكِ كلّي آذانٌ صاغية

لكنها تحدثت عن كل شيء و لم تتطرق لذكر الفتاة أمامه و هو تردد بالسؤال عنها حيث أن غروره اصطحب كبريائه و منعاه عن السؤال المباشر عنها و عمته لم تنتبه أن كل هذا اللف و الدوران سببه تلك الفتاة لأنها لم تكن تعلم أنه سمع حديثها مع والدته و لم يخطر ببالها أنه إن سمع سيعنيه الأمر لذا لم تفهم سبب ودّه الذي ظهر فجأة لها

غادرت عمته و تركته في بحر من الحيرة و الأسئلة ذهب لفراشه و عاد للتفكير بهذه الفتاة

لم يعرف النوم طريقه لعينا وائل تلك الليلة و لم يخرج من البيت في اليوم التالي كان في انتظار عمته علّه يحصل منها على شيء يروي به عطش قلبه لكنها لم تأتي تركته لجنون الأفكار الذي لا يرحم

و في كل لحظة يسأل نفسه

لماذا أنا مهتم بفتاة لا أعرفها ؟

هذا ضرب من الجنون حتماً يجب أن أذهب لعملي و أنهي هذه المهزلة

لكنه يعود للتفكير بها و يسأل نفسه هل هي حورية جاءت من الجنة؟

و يحاول تخيل شكلها ثم نهر نفسه و قال ما هذا يا وائل لقد جننت فعلاً عن أي حورية تتحدث ؟

لا إنها حورية بحر يهزأ من نفسه و يقول هل حوريات البحر حقيقة إنها مجرد أساطير كفى يا وائل كفى إن لن تكف عن التفكير بها سيصيبك الجنون لا محالة أعتقد أنني جننت و أنتهى الأمر يا الهي ساعدني

لاحظت أم وائل كل تلك التغيرات في تصرفات ابنها و نفسيته سألته

- هل تواجه مشاكل في عملك يا وائل ؟

- لا الحمد الله لا توجد أي مشاكل

- إذاً ما الذي يشغل تفكيرك يا بني ؟

- لا شيء أكمل هل ستزورنا عمتي غداً ؟

- أجابت و هي تنظر له بطارف عينها لا أعلم لما تسأل ؟

منذ متى و أنت تهتم بهذه التفاصيل ؟

كنتَ دائم الضجر من زيارتها و تقول أنها لو أصبحت خاطبة ستنجح مع الجميع لكنها ستفشل معك ما الذي جعلك تسأل عنها فجأة ؟

- أجاب بتوتر و كأنه وقع في فخ لكن أسعفه ذكاؤه و قال لا شيء يا أمي فقط لتتسامرا و يمضي الوقت سريعاً بحديثكما

ولا تتضجري فأنا دائم الانشغال و أنتِ تبقي وحيدة في المنزل أنني أفكر بكِ فقط

- ازدادت حدّة نظرتها و قالت لكنك لم تخرج من البيت هذا اليوم و لم تذهب للعمل إذاً لستُ وحيدةً اليوم (أخفض رأسه محاولاً التفكير بكلام ينقذه من نظرات والدته) أكملت أم وائل و هل ستتأخر غداً في العمل ؟
- لا لن أتأخر
- إذاً لما تريد أن يبقى أحداً بجانبي إن كنتَ ستعود باكراً
- تلعثم وائل في كلامه و قال لا شيء فقد كنتُ أنوي الذهاب مع مجموعة من أصحابي و كان الارتباك واضحاً على محياه
- أنتَ لا تجيد الكذب يا وائل
- ابتسم بخجل طفولي لأن أمه كشفت كذبته و قال لها سأذهب لأنام تصبحين على خير يا أم وائل

دخل وائل غرفته و القلق يصاحبه لا يدري ماذا يفعل ليكف عن التفكير بهذا الموضوع و تلك الفتاة

تلفّت ذات اليمين و ذات الشمال فوقع نظره على المكتبة مدَّ يدهُ و أخذ كتاب علَّ القراءة تشغله عن التفكير فوجده كتاب كان قد اشتراه منذ شهر و نسي أمره تماماً لم يكن قد قرأ كتاب خواطر من قبل لذا اشتراه و خاصةً أن عنوان الكتاب لفت نظره

(صدى الأفكار) حدّث نفسه حين اقتناه قائلاً اسم جميل و اختيار موفق للعنوان لكنه الآن و هو بين يديه قرأ العنوان بشيء من الضيق فهو يهرب منها ليقع في صداها لكن هل الأفكار تنتهي لأقع في صداها حتى بعد رحيلها هكذا حدث نفسه

و أضاف قائلاً ليس الآن الوقت المناسب لقراءة هذا الكتاب فأنا أشعر بضجيج داخل رأسي لا يهدأ لا أريد أن أزيد الطين بلّة

وضعه على المنضدة أمامه و جلس على الكرسي و هو يسرق النظر لهذا الكتاب لكن سرعان ما واتته الشجاعة و الجرأة و أمسك بالكتاب و فتحه بدأ يقلب صفحاته فتوقف عند اسم خاطرة بعنوان (**النصيب**) و بدأ يقرأها بتمعن

يوجد حديقة جميلة مليئة بالزهور المختلفة الأشكال و الألوان

و حتماً على البشر المرور بها

فمنهم من يتنزه و يلامس الورد و يشتم رائحتها

و من ثم يبحث عن أكثر وردة ذابلة لا يمر بها أحد

و ليس لها رائحة فيقطفها و يخرج

لا أدري ما الذي فكر به ليأخذ هذه الوردة

بعد أن استمتع برؤية جميع الورود إلا أنه اختارها

إما لسببٍ ما أو هذا هو ذوقه و الناس أذواق كما تعلمون

ثم يدخل الحديقة شخصاً آخراً فيرى وردة صغيرة لم ترى الشمس بعد

و لازالت منغلقة على نفسها فتعجبه و يأخذها

و يكون له رأي بها و ليس لذوقه علاقة

ثم يأتي شخص آخر فيرى الورود كلها

و لا تُعجبه إلا التي تميل مع الهوى حيث يميل فيأخذها

و لا أدري إن كان للذوق أو المنطق علاقة

إنما أعتقد أن النصيب وضع بصمته الغريبة هنا

و هناك شخص يحوم حول الحديقة و قبل أن يدخلها يتكبر و يقول

لم تعجبني الورود هذا الموسم سأنتظر موسماً آخراً

و يظل هكذا و لا يدخلها أبداً

و تظل الورود الجميلة هكذا تنتظر من يقطفها كلٌ في حينها

و ضمن هذه الورود وردة حُسنها يلفت انظار الجميع

ليس لها مثيل في الحديقة

إلّا أن كل من رآها لم يملك الجرأة من الاقتراب منها أو قطفها

لها هيبة تمنع ضعاف النفوس من الاقتراب

و لها جمال يسر الفؤاد و يسحر العيون

فتظل حسرة بقلب أكثر الأشخاص الذين دخلوا الحديقة و خرجوا منها

سواءً بوردةٍ أو بدونها لأنّهم لم يملكوا الثقة و الجرأة

و هذه الوردة تزداد جمالاً و تفتحاً يوماً بعد يوم

ثم يأتي فارسها المقدام الذي رأى ورود جميلة كثيرة لكنه لم يعرها اهتماماً

فهو لا يحب إلّا النوع النادر من الورود المتفتحة الناضجة

فيخفق فؤاده لها من أول نظرة

و يذهب باتجاهها بخطوات ثابتة راسخة ليقطفها و يمضي

عندما انتهى من قراءتها شرد فقطع شروده رنين الهاتف الذي علا بجانبه لكنه لم يجيب لأنه لا يريد الخوض في جدالٍ مع صديقه الذي لا يعرف للسكوت طريق

نظر للكتاب مجدداً و بدأ يسأل نفسه

هل أنا هذا الشخص الذي يحوم حول الحديقة ؟

ألهذه الدرجة أنا متكبر ؟

و هل شمس هي الوردة الجميلة التي لا مثيل لها ؟

هل أملك الجرأة لقطفها ؟

هل سأكون فارسها المقدام ؟

فعلاً هذا الكلام صحيح فقد رأيت من الورود ما رأيت

متنوعة و كثيرة و جميلة لكني لم أعر اهتمامي لأحداهن

لكن لماذا لا أذهب لها بخطوات ثابتة راسخة كما ذكرت الكاتبة ؟

ما الذي يمنعني ؟

لم أكن متردداً أبداً ما الذي دهاني لأتردد في موضوع الزواج

لا لا إنه ليس تردد إنه وعي نعم هو كذلك

عاد من العمل و رأى عمته جالسة مع والدته ابتسم ابتسامة عريضة و هلل و رحب بها لم يذهب ليغير ثيابه و لم يسأل والدته عن الغداء جلس و بدأ بالكلام و المزاح مع عمته التي جاءت بناءً على طلب والدته لأن سؤال وائل عن مجيئ عمته شغلها و لم تنفك عن التفكير به فأرادت أن تعرف ما الأمر الذي يخفيه وائل عنها حاول وائل المبادرة بطريقة غير مباشرة و سأل

- كيف غيرتي عادتكِ عمتي لم أعد أرى معكِ صوراً للفتيات كي انتقي إحداهن و أخطبها ؟
- يا بني لقد يئستُ منك و لا تنسى كم وضعتنا أنا و والدتك بمواقف حرجة و كثيرة لم أعد أملك لك سوى الدعاء أن يهديك الله و يرزقك بأبنة حلال تصونك و تصونها

- ابتسم وائل ابتسامة صفراء عنوانها الخذلان و قال في سرّه لِمَ يئستِ يا عمتي حاولي مرة أخيرة ارتبكَ و لم يعرف كيف يستدرجها في الكلام أكثر فهو لم ينل مبتغاه و لم تتطرق عمته للحديث عن شمس حبيبة الروح قبل أن تراها العيون
- أكدت والدته ما قالته عمته و قالت بدورها لن أحاول التدخل في حياتكَ بعد اليوم سأتركك و شأنك كما كنت تطلب مني و ختمت كلامها أنتَ حر

شعر في ألم في قلبه و صوت قلبه ينادي و يصرخ لا يا أمي هذه المرة بالذات يحق لكِ التدخل أريد أن أعرف من هذه الفتاة تباً لحظي العاثر يا إلهي كيف استدرجهن بالحديث ليخبروني و لمعت فكرة في ذهنه لم تخطر له من قبل فابتسم كأنه انتصر

- وائل : استلم القيادة عنكما أحد اصدقائي لقد اقترح أن أتقدم لخطبة فتاة يقول أنها على درجة عالية من الأخلاف و على حد تعبيره أنها تناسبني ذكر لي أسمها لكني نسيته قد يكون شيماء أو شمس لا أدري
- عمته : هبت واقفة نعم لا بدّ أنها شمس فهي كاملة الأوصاف و الكمال لله
- ابتسم ابتسامة نصر لأنه عرف كيف يستدرج عمته لتتكلم عنها و سألها أبنة من هذه الفتاة ؟
- إنها من عائلة معروفة و يُشهد لهم بالكرم و الأخلاق هي بنت فلان
- لا أعرف عمتي سأفكر بالأمر لكني لا أعدكم بالموافقة

و هو يعلم أن بكلماته هذه يعطي أمه و عمته أملاً جديداً كي تحاولان الضغط عليه ليذهب لمنزل الفتاة

بالفعل بدأت عمته و أمه بإقناعه أن يذهب و يراها و أنها ستعجبه و هو يكابر أمامهن إلى أن وافق على مضض لكنه في قرارة نفسه يعرف أنهما إن لم تحاولان إقناعه كان سيقول لهنّ أنه جاهز ليرى الفتاة خلال يومين بالكثير لأن صبره نفذ و لم يبقى سوى الاحتياطي الذي أهداه الكبرياء للصبر قد يسعفه ليومٍ أو بعض يوم و يعلم أنه لن ينتظر ليراها من بعيد سيذهب فوراً مع أمه و عمته صعد الدرج و هو في قمة السعادة كان يدندن كلمات أغنية (قول لي بس كلمة أحبك و اترك الباقي عليا.....)

فتح باب غرفته و أول شيء وقع نظره عليه هو الكتاب الموجود فوق المنضدة فتبسم و أخذ يقول أنا فارسكِ المقدام و بدأ يضحك

أمّا أمه تناولت الهاتف و حددت موعد لزيارة عائلة شمس

- عمة وائل : أسرع يا وائل سنتأخر
- ها أنا ذا يا عمتي مستعد
- لم أتعلم التصفير في صغري ما كل هذه الأناقة يا ولد وما أجمل هذا العطر غمزت بعينها و اكملت لم أعهدك بهذا الحماس لمقابلة فتاة ما الأمر هل رأيتها و أعجبتك
- أحمرّت وجنتا وائل خجلاً لقد كشفته عمته فأجاب بالنفي دون كلام فقط هز رأسه من شدة حيائه

دخل الجميع لمنزل شمس وأستقبلهم أهلها بالرحبِ و السِعة

شعر وائل بالراحة عندما دخل منزلهم واستشف من حديث أهل شمس أنهم عائلة بسيطة مُتحابة ثم دخلت شمس و بيدها القهوة و بدأت بالضيافة تركت وائل آخر شخص هكذا هي العادة عندهم

وذلك ليأخذ العريس أكبر وقت و يراها تتنقل في الغرفة و أيضاً كي لا ترى العروس الشاب المتقدم لخطبتها فتستحي و تخرج من الغرفة فور دخولها كما تفعل أكثر الفتيات

شعر وائل بدقات قلبه تتسارع لم يستطع أن يزيح نظره عنها للحظة أعجِبَ بجمالها الهادئ و بساطة أناقتها لكنها سرعان ما غادرت فطلب من والدها أن يسمح لهما بالحديث بمفردهما وافق والد شمس و نادى لأبنته لتجلس مع وائل

عندها جلسا بمفردهما لكن وائل لا يعرف سوى التكبر و بدأ بكلام سرعان ما ندم لأنه تفوّه به

- وائل : أنا هنا بناءً على رغبة والدتي و عمتي و لا تعتقدي أنكِ جميلة كما يُقال أرى أنكِ فتاة متوسطة الجمال لا أكثر ثم أنتبه لنفسه و قال في سرّه يا إلهي لما تفوّهتُ بهذا الكلام ثم

لاذ بالصمت نظر لها رآها صامتة هي أيضاً حثها على الكلام لكنها بقيت تنظر له نظرات تملأها القوة و الثقة شعر أن نظراتها تخترقه و تنهره فقال لما أنتِ صامتة ؟

- ما الفائدة من الكلام لأني ببساطة لن أسمح لهذه الخطبة أن تتم
- قال بسرعة دون أن ينتبه لنفسه لماذا ما السبب ؟
- وائل لن استطيع الارتباط بشخص مثلك لا يملك ضمير و غروره أعماه و لن يقدّر قيمتي و لا يوجد مكان للاحترام أو اللباقة عنده و ليس لديكَ ثقةً بنفسكَ إنّكَ عديم الشخصية
- شعر بصدمة و كأن ماء بارد سُكِبَ فوق رأسه و قال ما هذا الذي تقولينه ؟
- قاطعته شمس قائلةً كيف تملك ضمير و أنتَ تجرح فتاة لا تعرفها و لا تعرفك و لم تقترف أيُّ ذنبٍ في حقّك

أين هو احترامكَ لنفسكَ و أنتَ جالس ببيتنا و تتفوّه بمثل هذه الكلمات و إن كانت حقيقة كيف واتتك الجرأة لتقولها

أين هي شخصيتك ؟ إنها معدومة و الغرور عبارة عن غلاف تغلّف نفسك به خوفاً من أن تُكشف هذه الحقيقة

- تفاجئ وائل من كلامها الذي يعرف حقّ المعرفة أنّهُ حقيقة استطاعت شمس اكتشافها في ثوانٍ لقد فهمته من بضع كلمات قالها بقي صامتاً بعض الوقت ثم قال بارتباك و قد ظهرت بضع قطراتٍ من العرق على جبينه

هل تسمحي أن يعطي كلانا فرصة للآخر كي نتفاهم بشكلٍ واضحٍ دون سوء تفاهم

- ابتسمت نصف ابتسامة و بكل ثقة قالت أفهم من كلامك هذا أنكَ ندمت على ما قلته اتسعت ابتسامتها واكملت كنتُ واثقةً أن هذا الكلام ليس حقيقي و أن جمالي أعجبك فأنت لا تجيد

التمثيل ثم قالت بمكر انثوي جميل و مستفز بآنٍ واحد مع ابتسامة زادت جمالها ما الذي يجبرني كي اعطيك فرصة ؟

- صمت وائل و ازداد ارتباكه و لم يهتدي لجواب لأنها فتاة ناضجة و لم يعرف كيف يتعامل معها فقال :

لا أعرف لكني ارجو أن يكون للحديث بقية

- لقد ارضى برجائه غرور الأنثى بداخلها فوافقت

عاد للمنزل و هو في حالة غريبة لم يجد كلمات تصف حالته هذه أهي حالة عشق لشمس أم خوف من ذكائها الذي لم يكن في الحسبان و عادت الأفكار تعصف في رأسه فنظر في أرجاء غرفته رأى الكتاب ينتظره على المنضدة استغرب وجوده فلم تكن من عادة أمه أن تترك الكتب متناثرة دائما تعيد ترتيب كل شيء و كان الخلاف بينهما على هذا الأمر يتكرر وائل يقول لأمه أنه عندما ينتهي من

قراءة الكتاب هو سيعيده للمكتبة و هي تعيد كل شيء دون اكتراث لكلامه لكن الغريب أنها لم تمس هذا الكتاب و بقي ينتظره

أخذ الكتاب و فتحه و قلّب أوراقه استوقفه عنوان لخاطرة (**صدفة**) و بدأ يقرأها

كنا على موعدٍ سابقٍ

حيث أننا تلاقينا قبل بدء الخلق

أرواحنا تلاقت و تآلفت و تحابت

أكمل القراءة ثم فجأة أخذ يبحث عن قلم عندما وجده و بدأ بوضع خطوط تحت العبارات التي أعجبته

انجذبتُ لك كمعدن دخل حقل مغناطيس

تشتت مشاعري و لم تعد ملكي

شيء يجذبني لك لا أدري ما هو

و رغم برود الكلام

و ثقل المجاملات التي تقال في البدايات

إلا أني شعرتُ بفرحةٍ خفيةٍ

كنت أنظر لك و أشرد بك

و كأني أعوّض ما فاتني لأرتوي من عيناك

كم كان عطشي كبيراً لهما

أكمل قراءة ثم عاد ليضع خط تحت عبارات أخرى

ما أجملك و أنت تقول ما أود قوله

و تعلم ما يدور في خاطري دون أن أتكلم

شعرت أننا بالفعل روح واحدة بجسدين

ثم وضع القلم داخل الكتاب و أغلقه و بدأ يفكر بعبارة كان قد سمعها (الشعراء عندما شَعروا شعروا)

فعلاً و كأن هذه الكاتبة شعرت بي عندما كتبت هذه الكلمات

هذا صحيح لو لم يكن الشعور لما وُجِدَ الشِعر

و عاد تفكيره يسرقه من نفسه ليأخذه لشمس مجدداً و جعله يحدث نفسه

أنتِ جميلة يا شمس بشكلٍ يسلب العقل و القلب حماكِ الله

فجأة و كأنما تلقى صفعة قوية أيقظته من تفكيره و أعادته للواقع

عندما تذكر أنه أخذ موافقتها لإعطائه فرصة للتفاهم

لكني لم آخذ موعد محدد منها كيف ؟

لا لا ما الذي دهاك يا وائل ماذا جرى لعقلك كيف لم تحدد موعد؟

كيف أتذكر و قد شل تفكيري جمالها تمنيت لو لم نغادر منزلهم

ذهب لوالدته و بدأ بمحاولات فاشلة كشفتها أمه بسرعة

- هات يا ولد ما عندك دون مراوغة و لا تزعجني
- ضحك وائل و قال ما رأيكِ بها ؟
- حاولت أمه استفزازه و قالت محاولةً عدم الفهم رأيي بِمن؟
- أمي أنسيتي شمس ؟
- ضحكت و قالت لا لم أنسها حقيقةً لا يوجد كلام قادر على وصفها و ليس بها عيب و زيادة على ذلك أنها دخلت قلبي دون استئذان كما دخلت قلبك
- وائل : لا أنا فقط أفكر
- قاطعته أمه لا تكذب يا ولد

- ضحك بسعادة و خجل و قال نعم أعجبتني أأنتِ سعيدة الآن ؟
- نعم سعيدة لأني وجدتُ من استطاعت أن تكسر عنادك و كبريائك و جعلتك تتخلى عنهما
- ابتسم وائل و اعتدل بجلسته و قال لا يا أمي ليس عناد و لا كبرياء فقط لم أكن أشعر أن إحداهن نصفي الثاني و لم أكن أريد الارتباط لمجرد فكرة الارتباط و من ثم يأتي الفشل يتمختر و يلوّح لي وتنتهي علاقة الزواج بالطلاق

كنت أبحث عمّن تشعرني بِلذّة الحياة و تجعل علاقتنا تنمو و تكبر كل يوم

إن الزواج مشاعر إن لم تولد منذ البداية فسيتعسر المخاض و تموت فهي من الله سبحانه و تعالى لا نستطيع نحن إحيائها أو خلقها حتى و إن تهيّأت كل الظروف لخلقها من مشاعر ارتياح و اعجاب و استلطاف صحيح إنها ليست حب لكنها شيء

جميل يجعلنا نفكر بالخطوة الأولى بفرح و نفكر بالاستقرار أيضاً و نراه احتياج و غيابه يشعرنا بالنقص لكن إن لم تكن الفتاة مناسبة سيكون الزواج واجب ثقيل و مسؤولية أقضي حياتي في محاولة الهروب منها أفهمتِ يا أمي ؟

- تبسمت أمه ابتسامة غريبة و كأنها مزيج من الفرح و الحزن معاً و هزت رأسها و قالت أنتَ تشبه أباكَ كثيراً رحمه الله لقد كان مثلك عندما يريد شيئاً يصمم عليه و يملك القدرة على الاقناع و يفكر بشكل منطقي و جميل مثلك ثم ضمته لصدرها

شعر وائل بالحزن لأنه لم يرى أباه فعندما كانت أمه حامل به دارت حرب كبيرة و استشهد بها الكثير من الرجال و والده منهم لكنه شعر بدموع أمه فحاول أن يمازحها

- لا تخافي يا أم وائل فلن تستطع أي فتاة انتزاعي من أحضانكِ لا تغاري لن أحبها أكثر منكِ و ضحك
- ما الذي تقوله يا ولد ؟
- نعم أعرف تفكير النساء

فضحكت أمه و تغير جو الحزن الذي كان قد غلف الحديث

- انتظر أن تهاتفيهم و تحددي موعد
- أي موعد ؟ لماذا ؟
- أريد أن أراها و نتناقش بأمور كثيرة و بالتفصيل
- ضحكت والدته و قالت أثقل يا ولد لازالت رائحة عطرك في بيتهم
- لا أريد الثقل هذا أريد أن أراها غداً و حبذا لو أننا نخرج لمكان عام لوحدنا

- ضحكت أمه و قالت تأمر يا سيد وائل سوف أكلمهم لكن غداً صباحاً و أحدد موعد بعد الظهيرة لتراها
- جيد و همّ بالذهاب إلّا أن أمه استوقفته
- انتظر يا وائل إن لم استطع تحديد موعد غداً ماذا أفعل ؟
- حددي أقرب موعد ممكن لكني أدعو الله أن يكون غداً

ذهب لسريره و لم يشعر كيف غفى كأن الأفكار كانت قد أخذت إجازة من رأسه هذه الليلة إلى أن رن المنبه معلناً أن الصبح قد جاء و حان موعد العمل نهض و جهز نفسه للذهاب للعمل و هو يشعر بسكينة داخل روحه و الابتسامة مرسومة بإتقان على شفتيه

كان يوم شاق انهكه العمل لكنه لم يشعر بالتعب لأنه معتقد أنه سيقابل شمس حياته كما سمّاها عاد للمنزل و قبل أن يسأل والدته ماذا طبخت كعادته سألها

- متى الموعد ؟
- في نهاية الأسبوع فلم يتبقى سوى ثلاثة أيام
- تجهم وجهه و عبس لماذا ؟ ما الذي جرى ؟ هل رفضوا ؟
- لا لما أنتَ متشائم كل ما في الأمر أن والدها سيخبر أعمامها و يتشاورا في الأمر و يسألوا عنك و عن أخلاقك و ماذا تعمل و الخ من هذه التفاصيل ثم يقرروا و يخبرونا بالموافقة أو الرفض
- إذاً رفضوا ؟
- لا يا وائل لم يرفضوا ماذا جرى لك إنها العادات و التقاليد هذه هي الأصول يا ولدي إنه زواج أفهمت ؟

و من حق أهلها أن يطمئنوا على ابنتهم و يعرفوا أصلك و أخلاقك لا تخف إنها الموافقة لكن هذه هي العادات فهي ليست سلعة تدفع ثمنها و تأخذها

- نعم فهمت

ذهب ليغير ملابسه و شعر بأن تعب الكون كله استوطن جسده حتى الشهية هجرته فلم يعد له قابلية لتناول طعام الغداء مع والدته استلقى على سريره و خطفه النوم إلى أن شعر بوالدته تيقظه لتخبره بأن الوقت سرقه و لم يتبقى وقت سوى ربع ساعة لآذان المغرب انهض وصلي العصر وبالفعل أنهى صلاته بينما أعدت والدته القهوة ثم عاد لغرفته و هو يسأل نفسه لما كل هذا الضيق و الملل و التوتر ثم وقع نظره على الكتاب بجانبه لكنه لم يكن يشعر برغبة في القراءة إلّا أن شيئاً ما داخله أجبره على حمل الكتاب و فتحه و أكمل القراءة من حيث أنتهى أمس لم يقرأ سوى ثلاث جمل و بدأ يضع خطوط تحت العبارات و هو يبتسم

و عندما رتبنا موعداً أظهرت الأيام غيرتها

أصبحت تمشي كالسلحفاة بعد أن كانت تجري

أنا أتشوق لرؤيتك و أنت متلهف لرؤيتي

و كلانا ننتظر نهاية الأسبوع

و نحترق على لهيب جمر الانتظار

أكمل وائل القراءة دون وضع خطوط لم يبقى سوى عبارات قليلة لكنه شرد بأفكار غريبة و بدأ يسأل نفسه

هل هذه الكاتبة تعرفني و كتبت هذه الكلمات لي ؟

لكني اقتنيت هذا الكتاب قبل أن أسمع بقصة شمس بزمن

فعلاً أن كلامها يلامس واقعي و يتكلم بلسان حالي لقد كتبت كل ما يدور في عقلي و شعوري و إذ بطرقات على باب غرفته

- تفضلي يا أمي

- لمَ أنت جالس بمفردك و لم تعد تحب الجلوس معي ؟

أم أنك تواجه مشاكل في عملك ؟

- ما هذا الكلام الذي تقوليه يا أمي وضع الكتاب من يده و بدأ الهواء المتسلل من نافذة الغرفة بتقليب صفحات الكتاب بينما وائل يقول لا يا أمي لا يوجد شيء إنما ضغط العمل ارهقني اليوم و رغم أني كنت أود أن أرى شمس إلّا أنني كنت أود أن يؤجل الموعد لأنني منهك تماماً و لم أكن قادراً على تناول الغداء نمت و كأني لم أنم منذ سنة لكن هذا لا يعني أن أترك لكِ الطعام كله إني ذاهب للمطبخ علّي أحظى بشيء و بدأ يضحك فضحكت و ذهبا معاً و تناولوا الطعام

شعر وائل بأنه قصرّ بحق والدته فهو يعرف أنها حساسة جداً و رقيقة و أنه ابنها الوحيد الذي خرجت به من الدنيا أنهيا طعامهما و جلسا معاً سامرها إلى أن حان موعد نومها

عاد لغرفته و رأى كيف يتلاعب الهواء بصفحات الكتاب فابتسم و قال ما الذي سيختاره الهواء لي ؟

فوقع نظره على خاطرة بعنوان (**رقة الاحساس**) عندما انتهى من قراءتها بحث عن القلم الذي وقع بفعل الهواء فالتقطه من الارض و وضع خطوط تحت العبارات الثلاث الأخيرة

و بقدر جمال إحساسه بقدر الحذر الواجب عليك اتّخاذه

كي لا تخدشه بكلمةٍ بحرفٍ بتصرفٍ غير مقصودٍ

فهو عبارة عن كتلة من الإحساس تمشي بقدمين

فعلاً أنتِ يا أمي كتلة من الاحساس تمشي بقدمين ما أروعكِ

شرد ذهنه قليلاً ثم قرر أن ينام كي يصحو باكراً فالعمل لا ينتظره يجب أن يلحق به لكنه قرر أن يختار بنفسه خاطرة و يقرأها قبل أن ينم أخذ يقلب صفحات الكتاب فأعجبه عنوان خاطرة (**أوتار الحب**)

أخذ يقرأ و يضع الخطوط كعادته

و شعرتُ بأن بريق عينيه قد عرّى مشاعري

عندها أدركت أني كنتُ أحبه

و ما كانت تلك المقطوعات الموسيقية

إلّا نبضات قلبه التي كنت أشعر بها رغم بعده عني

فالحب يعزف لحنه على وترين هما قلوبنا

فعلاً أنتِ محقّة أيتها الكاتبة لا يوجد سوى وترين قلبي و قلبها أكاد أقسم بأن لحن حبنا سيكون من أجمل الألحان

ما هذه الحالة الغريبة التي أعيشها ؟

أشعر بسعادة رغم أن شمس ليست بجانبي لكنها في قلبي

هل يسعَد القلب إن أحتله أحد ؟

دخل فراشه و هو يبتسم و يتهم نفسه بالجنون

لما كل هذا الابتسام هل يعقل أن يكون سبب سعادتي شعوري بأنها هي أيضاً تفكر بي ؟

نعم بالتأكيد تفكر بي لأنهم أخذوا وقت للتفكير

كانت هذه الكلمات آخر ما تذكره قبل أن يبدأ يحلم

و الجميل أنه حلم بها و كأنها ملاك جميل يشع النور من وجهها

حاول تجاهلها فسمع صوتها حين قالت آدم نظر لها فابتسمت

ابتسامة لم يفهمها

رقة أم نصر ؟

كبريائه أمره بتجاهلها ثانية و خاصة أن اسمه وائل و ليس آدم

نادته آدم ثانيةً فنظر نحوها رآها تتكلم لكنه لم يسمع شيء مما قالته

لا يعرف لماذا و بدأت تمشي مبتعدةً عنه و هو يقف مكانه مذهول

فجأة شعر بقيود تكاد أن تتمكن منه حاول الإفلات منها لكن لم يفلح

بدأ يصرخ و استيقظ شرب ماء و ذكر اسم الله وبدأ يسأل نفسه

هل هو حلم جميل لأنه رآها ؟

أم أنه كابوس ؟

لا يعرف شعر بارتباك لكنه تذكر أنها قالت له شيء

ماذا كانت تقول يا ترى لكنها أيضاً سمتني أدم ماذا تعني ؟

هل في حياتها شخص أسمه آدم ؟

لا لو أن هناك شخص في حياتها لرفضت الخطبة على الفور دون أن تطلب مهلة للتفكير

أذكر أنها قالت في الحلم يا معشر الرجال إذاً هي تقصد أن آدم رجل و ليس شخص بعينه ما هذا الحلم الغريب ؟

ما هي الرسالة التي تريد أن توصلها لي شمس؟

آهٍ يا شمس من أنتِ ؟ كيف قلبتي أحوالي ؟

و لا أدري ما الذي يجعلني سعيد بشعوري هذا الذي لا أعرف أي أسم أطلق عليه ضياع أم تيه

حاول وائل البحث عن النوم لكنه هرب لم ينم بعد هذا الحلم فذهب للمطبخ أعدّ القهوة و عاد لغرفته فرأى الكتاب ينتظره و هو الصديق الوحيد له في هذه الأيام فتبسم و شعر أن بينه و بين هذا الكتاب جاذبية علاقة غريبة تربطهما لكن هذه المرة قرر أن يقرأ الفهرس ليحدد ما الذي يقرأه فتفاجأ بخاطرة عنوانها(آدم) فقرأ رقم الصفحة و بدأ يقرأها شعر أنه سمع هذه الكلمات لكنه لم يعد يذكر إن كانت ذات الكلمات التي كانت تقولها له شمس في الحلم و عندما أكمل القراءة وصل للمنتصف ذُهِل فهذه الكلمات يذكرها جيداً

أيعقل هذا ؟

يا إلهي إن بقيت على هذا الحال سأجن بالتأكيد و بدأت الأفكار تسرقه من القراءة تارة و تعيده لها تارة أخرى

لن يبصر قلبه الحب ما لم يتخلّى عن التصنع

الذي سعى المجتمع جاهداً ليضعه في قالبه

يا معشر الرجال كونوا كما أنتم على سجيتكم التي خُلقتم بها

دون افكار مكتسبة تجلد قلوبكم

لا تُسعد و لا تُغني عن حب

شعر أن الشلل استوطن دماغه و لم يعد يعرف كيف يفكر

بدأ يسأل و يجيب نفسه

أيعقل لأنني معجب بهذا الكتاب رأيتها تلقي إحدى قصائده في الحلم؟

لا لا مستحيل لأني لم أقرأ هذه القصيدة مطلقاً

أيعقل أنها تقرأ الكتاب ذاته في هذا الوقت الذي أنا أقرأه ؟

لا لا لم تحدث في فلم هندي هذه الصدفة ما هذا التخريف

أيعقل أن هذا رأيها و رسالة منها و صدفةً رأيتُ الرأي ذاته في الكتاب

نعم نعم إنها الصدفة و خاصة أنني يجب أن لا استغرب هذه الصدفة فمعظم الفتيات يقرأن الشعر و ميولهنّ للنثر أكثر فهذه القصائد النثرية أو ما تسمى بالخواطر تجذب الفتيات كثيراً و أغلبهن يملكن ذات الأفكار تقريباً

شمس شخصية قوية فلا أستبعد أن تمتلك مثل هذه الافكار و عدا عن ذلك لم تتكلم الكاتبة شيء غريب أو خطأ

فالأفكار المكتسبة تؤذينا لما لا نكن بسطاء ؟

نحب دون تكبر

و نشتاق دون أن نخفي ذلك

نبدل القسوة المصطنعة بالرفق و اللطف الموجودين بالفطرة داخلنا

فعلاً كلام صحيح هذه الافكار لا تسعد و لا تغني عن حب

أشعر أننا سنعيش قصة حب غريبة

لأننا لن نكون اثنين سيكون هذا الكتاب ثالثنا

أين أنتِ يا شمس فلتشرقي على حياتي و تنيري الظلمة

اجعليني أتنفس صباحكِ كل يوم

أذوب في حبكِ أكثر

زوديني بالضوء و القوة

أجعلي أشعة حبك تحرق كل شيء من حولي إلّا أنا

كي أعرف أنني المميز لديكِ و المنفرد بحبكِ

لم يشعر كيف كتب هذه الكلمات على إحدى صفحات كتاب صدى الافكار و عندما أنتبه لنفسه بيده القلم و يكتب ضحك و قال فعلاً عنوان الكتاب موفّق تهانينا لكِ أيتها الكاتبة فصدى أفكاري أيضاً بدأتُ في كتابته و لكن المعذرة لأني شاركتكِ الكتاب ذاته

شرد ذهنه قليلاً ثم قال يا إلهي أهذه الكلمات فعلاً صدى لأفكاري أم أني كنتُ أكتب رسالة لشمس دون أن أدري قلبي هو من كتبها و يدي كانت أسيرة تنفذ أوامر القلب مجبرة ثم سأل نفسه

ما هذه الرومنسية يا وائل ؟

منذ متى و أنت مرهف الحس ؟

ثم عاد للضحك بسبب أفكاره الغريبة فقال

أعتقد أن هناك مؤامرة بين شمس و الكاتبة لتغييري و أكمل الضحك انتبه أن صوته عالي فأخفضه قبل أن تستيقظ والدته لأنه لو أقسم لها

أنه لا يوجد شيء فقط يضحك على أفكاره الغريبة لن تصدقه و هي معذورة من ذا الذي سيصدق هذا الجنون لكن مع ذلك إني أستلذ بجنوني هذا أشعر أنه أخرجني من قالب الرسمية والعمل و عاد بي سنين طويلة للخلف أشعر و كأني صبي مراهق لقد عدت لأيام الولدنة

لاحظت والدته أنه لم ينم و هي تسمع صوته تارةً يضحك و تارةً صوت تقليب أوراق فاعتقدت أنه يتكلم مع شمس على الهاتف

تبادر لذهنها أن وائل و شمس على علاقة سابقة

سألت نفسها هل هي التي أهدته هذا الكتاب الذي يرافقه ؟

حدثت نفسها بأنها يجب أن تعرف كل شيء و تنصحه بأن لا يكلمها طوال الليل يجب أن ينم كي يستريح جسده يا إلهي ساعدني أنا أم و قلقة على أبنها الوحيد لقد تغير حاله جداً و أصبح مزاجه تابع لشمس و أخبارها ثم انتبهت و اخفضت رأسها للأسفل خجلاً من نفسها أيعقل أنني أغار لأن وائل ستكون في حياته و قلبه امرأة أخرى غيري و قد كنت طوال السنين الماضية وحدي في قلبه و اهتمامه لي وحدي لا هذه ليست غيرة بلى إنها غيرة ما الضير في أن يكلمها فهي خطيبته و ما الذي يدعيني للقلق إن أهدته كتاب أمر طبيعي جداً

لكنّي رأيت هذا الكتاب منذ مدّة و قال لي أنه اشتراه ليرى صدى الأفكار التي بداخله نعم تذكرت يا إلهي لقد ظلمتها لاعتقادي أنهما على علاقة سابقة

اهدني يا الهي أشعر أنني ضائعة و أشعر أن أبني قد ضاع مني إنه شعور صعب و قاسي و فجأة قالت لنفسها لما لا أكن مثل باقي الأمهات أفرح لزواج أبني الوحيد ؟

لما أنا قلقة ؟ أهذا شعور طبيعي ؟

إن شمس فتاة جيدة و تناسب وائل و لن أرى أفضل منها

إذاً ما الذي يقلقني ؟

لا شيء إنها مجرد وساوس شيطانية سأتخلص منها بإذن الله ثم لاحظت أنها كانت تكلم نفسها تسأل و تجاوب كأنها تكلم أحداً جالس أمامها ضحكت من تصرفها هذا لكنها اعترفت أنه مفيد و يجب أن

يكلم المرء نفسه من وقتٍ لآخر ليخرج ما في داخله و يعرف الصواب من الخطأ و ينصح نفسه بنفسه

نعم إن الحوار مع الذات نقطة فارقة جداً في حياة المرء خاصة في وجود القلق تفوهت بهذه الكلمات و هي ذاهبة لغرفة وائل طرقت الباب و لم يجب اعتقدت أنه لا يزال نائماً لأنه لم ينم الليلة الماضية جيداً فتحت الباب لم تره لقد نهض باكراً و ذهب للعمل حتماً لكن كيف خرج قبل أن يأتي و يرى إن كان ينقصني شيء و يطلب وجبة يحبها على الغداء لأعدّها له أو على الأقل يقول لي صباح الخير كعادته

لا تسيئي الظن بوائل يا أم وائل قد يكون خرج باكراً و لم يشأ أن يزعجكِ نعم صحيح وائل حنون جداً و قبل أن تغلق الباب وقع نظرها على المنضدة التي تحمل الكتاب فلفت نظرها عنوان مكتوب

بخط عريض (كنز) استغربت العنوان و دفعها الفضول لقراءتها أنهت القراءة و هي تقول يا إلهي ما أجمل هذه الكلمات فعلاً لا يوجد أجمل من الترتيب الإلهي للأمور و نحن البشر لا نفهمه بسبب تفكيرنا المحدود و لا نرى أبعاد الأمور و لكن متى فهمناه شكرنا الله

إننا إن نتمكن من الوصول للقناعة بقلوبنا و عقولنا

بأن الخير فيما اختاره الله سبحانه و تعالى لنا

نسعد و يهنى عيشنا

و أحياناً تكون هناك إشارات تدلنا على الخير

و أكثرنا يجهلها و يكون غافلاً عنها

فمن يتبع حدسه و إشارات الله له و يؤمن بكرم الله

يجد نفسه سعيد و قنوع و يُحسَد على راحة باله

تركت الكتاب مكانه و نظفت الغرفة و قبل أن تنتهي من تنظيفها رن الهاتف كان وائل المتصل

- مرحباً يا أم وائل كيف هو صباحكِ ؟
- الحمد لله أين أنتَ ؟
- في المكتب لم أشأ إزعاجكِ لذا خرجت دون أن أيقظكِ لكن هذا لا يعني أنني لا أريد أن تعدي لي معكرونة بالباشميل اللذيذة يم يم
- تبسمت أمه و قالت هذا هو وائل لا يفكر بشيء سوى الطعام
- ضحك وائل وقال تعرفين لما أنتِ جميلة يا أم وائل ؟
- لما
- لأنكِ أم وائل

ضحكا و أنهيا المكالمة و حمدت الله و شكرته لأنها طردت الوساوس التي حاولت الدخول لقلبها فهذا هو ابنها مثل ما هو لم يتغير فعلاً الأم تبقى أم و لا أحداً في الدنيا سيأخذ مكانها

بينما كان وائل يهم بالمغادرة بعد أن انهى عمله في المكتب جاء أحد زملائه و بدأ يقص عليه ما يحدث

- إن الموظف الجديد الذي يدعى رفيق يحاول الإطاحة بكَ يا وائل احذر منه فهو غريب الأطوار كن حريص و لا تسلمه عمل مهم فإنه يحاول أذيتك

بدل أن يحاول التركيز على عمله يركز على انهاء وجودك

لا أدري إن كان مبعوث من قبل أحد لكني لا أعتقد فهو مريض نفسي تارةً يحاول تشويه سمعتك و تارةً يقول بأنه

أفضل منك و رأيتُ أن من واجبي أن أنبهك لأني لم أرى أي تصرف منك يسئ لي أو لزملائي

- شكراً لك لكن لا تعرف لماذا يفعل كل هذا و ما الغاية ؟
- يا استاذ وائل كما أسلفت و قلت لك أنه مريض نفسي و هذا النوع من الناس يكذبون و يصدقون أنفسهم و يحيكون قصصاً خيالية في عقولهم المريضة و ينتقمون قد تكون في نظره مجرم من يدري
- حقاً !!!
- الحمد لله على نعمة العقل و ألف حمد و شكر لله أننا لا نعاني من أي عقد نفسية
- بالفعل شكراً لله لكني لم استوعب أن هناك بشر بهذا الشكل
- لا استاذ وائل صدق للأسف أمثاله كثيرون كن حذر
- شكراً لكَ مجدداً

- العفو

غادر وائل المكتب و هو يفكر بما قاله له زميله في العمل و يسأل نفسه من يكون رفيق هذا ؟

و ماذا يريد مني ؟

لا أذكر أن لي أعداء ؟

أيعقل أن يؤذيني ذاك الشخص ؟

لا لا لن يستطيع أذيتي مهما كان مكره و خبثه فأنا أتوكل على الله و لن يصيبني شيء ربي سيحميني و لكن بعض الحذر واجب

دخل للمنزل و ألقى التحية على أمه التي لم تكن قد انتهت من إعداد الطعام فسأل وائل متى يجهز الطعام يا أمي ؟

- نصف ساعة تقريباً

- جيد ذاهب لأصلي و أرتاح و عندما يجهز الطعام أخبريني
- ما بكَ يا وائل لستَ على ما يرام ؟
- لا يا أمي أنا بخير لا يوجد سوى بعض التعب و الإرهاق لم أنم الليلة الماضية عندما غفوت رأيتُ كابوساً و لم أستطع إكمال نومي بعده و اليوم تعبت في العمل

مجرد إرهاق تبسم لها و ذهب متوجهاً لغرفته

قالت في سرها إذاً سهرت البارحة بسبب كابوس و لم تكن تحدثها طوال الليل كما اعتقدت ظلمتكما أنا اسفة يا بني

بعد أن أنهى وائل صلاته جلس على الكرسي و رأى أن أمه قد نظفت الغرفة و لم تعد الكتاب للمكتبة بل تركته على المنضدة أمسك الكتاب و فتحه من المنتصف تقريباً فرأى خاطرة بعنوان (**تخلّف**)

استغرب العنوان لم يكن بمزاج يسمح له بالقراءة لكنه قرر القراءة فأمسك بقلمه كالعادة كانت الخاطرة طويلة لكنه بدأ بوضع الخطوط

نحن مجتمع متخلف بالأس مئة و قد يزيد

فبمجتمعنا الناس ينشغلون ببعضهم

ولا يشغلون أنفسهم بما يفيدهم

يسعون للإطاحة ببعضهم بدلاً من الإطاحة بهالة الجهل من حولهم

أكمل القراءة و وضع خطوط جديدة

لذا أصبح الممنوع مرغوب لديهم و كلّه في الخفاء

أمام بعضهم قديسين شرفاء و في الخفاء شياطين بلهاء

أجزم أن إبليس جالسٌ بزاويةٍ مذهول من تصرفاتهم

يتعلم منهم بدلاً من أن يعلمهم

و قد يكون وضع يده على خده

من كثرة اكتئابه لأنه جالس بلا عمل

فزمن الوسوسة انتهى و لا يوجد من يوسوس له

فغالبيتهم منافقين

و بدأ بالضحك و هو يقول فعلاً إن زمن الوسوسة انتهى و أكمل القراءة إلى أن استوقفته معلومة أعجبته و هي أن كلمة العلم ذُكرت في القران الكريم ما يقارب ثمان مئة و خمسون مرة ثم أكمل القراءة إلى أن انهى الخاطرة وقال أعجبني الكلام فهو منطقي جداً و جميل و الأفكار متنوعة أريد التعرف بهذه الكاتبة كما يقول المثل عقلها يوزن بلد قلّب الأوراق قليلاً و لفتته خاطرة بعنوان (**معادن**) ما هذه العناوين الغريبة معادن!! تبسم و قال لنرى معادنها بدأ بقراءتها لكنه لم يضع خطوط كعادته بل بدأ يفكر في الكلمات

المكتوبة كم هي واقعية و حقيقية عندها سمع صوت والدته تخبره بأن الطعام بانتظاره و ما إن وصل حتى علا صوت رنين الهاتف أجابت والدته في البداية رحّبت ثم أخذ وجهها يشحب أنهت المكالمة سريعاً و لم تتكلم جلست و هي شاحبة و مصدومة

يكاد يقسم وائل أنه سمعها تكلم نفسها سألها

- ما بكِ ؟ من المتصل ؟
- لا أحد إنها عمتك كنتُ قد هاتفتها و طلبت منها أن تزورنا فالملل أخذ حصة كبيرة من روتيني اليومي لكنها اعتذرت
- أمي أعرفكِ و أعرف أن هذا الكلام ليس صحيح أخبريني من المتصل و لما تغير لون وجهك و كأن هناك مصيبة لا قدّر الله لو أن أبي كان على قيد الحياة لتوقعت أنّكِ تلقيتِ خبر وفاته
- ما من مفر يجب أن تجيب لكنها اشترطت

يجب أن تنهي طعامك ثم أخبركَ بكل شيء

وافق وائل على مضض و هو يلاحظ أنها لم تأكل أنهى طعامه سريعاً و هو يحاول استدراجها لتتكلم

- إن أم شمس هي التي كانت على الجانب الآخر من الهاتف و قالت إن الأمور كلها كانت على ما يرام و إن شمس و والدها وافقا فقد سألوا عنك و عرفوا أخلاقك و قالت إن سمعتك مثل الذهب ثم سكتت
- أكملي يا أمي ما الذي حدث ؟
- عم شمس طلب يدها لأبنه و من عاداتهم و تقاليدهم إن أراد أبن العم أن يتزوج بأبنة عمه فلا تملك الفتاة حرية الرفض و لا يستطيع والدها أن يمنع الزواج أيضاً
- ماذا تقولين ما هذا الكلام الغريب ؟

- هذه العادة يا بنيّ قديمة جداً و تدعى (حيار) أي أبن عمها حيّرها

بدا الحزن واضحاً على ملامح وائل بعد أن انطفأ الغضب صمت و شرد ذهنه و قال في سره لما يحدث معي هذا ؟

أيعقل أن عادات قدية مثل هذه لازالت موجودة في مجتمعنا حتى بعد أن أعطى الإسلام حرية الاختيار للمرأة تأتي عادات بالية و تمنعها من حقها في القبول أو الرفض فعلاً إنه أمر مخجل و غريب ؟

ذهب لغرفته تاركاً خلفه والدته التي لا تعرف ماذا تفعل فهو أبنها الوحيد و شعر وائل أن دوار أصابه من هول ما سمع فقد خاب أمله و انتهت أحلامه شعر أن الكون يضيق به وصل لغرفته و أمسك الكتاب ثم أعاده لمكانه فهو لا يقوى على فعل شيء شعر بغشاوة على عيناه فحاول النوم لكنه هرب منه نهض و بدأ بقراءة سورة

ياسين لا يعرف لما اختار هذه السورة الكريمة لكنها خطرت في ذهنه حين أراد أن يقرأ القرآن فلا يوجد شيء يجلي الحزن عن الروح كتلاوة القرآن الكريم أنتهى من قراءتها ثم توجه للمطبخ و أعدّ القهوة و عاد بها لغرفته ثم أمسك الكتاب مجدداً نظر للفهرس فرأى خاطرة بعنوان (**حقيقة الأمل**) فقرر أن يقرأها أمسك القلم و وضع خط تحت أول عبارة

الأمل ليس إلا جرعة تخدير سريعة الزوال

أنهى الخاطرة القصيرة هذه و بدأ بأخرى بعنوان (**صمت**) شعر أنها تصف حالته الآن فبدأ بالقراءة و وضع الخطوط

ما أصعبه من إحساس حين يُسرَق منك شيء

و تراه يُدمَر و يُسحَق أمام عينيك

كم هي واقعية هذه الكاتبة فعباراتها تصف حالتي في الفرح و الحزن و الصمت و في كل شيء ليس هناك نوع من المشاعر لم يُذكر أحرى بها أن تسمي كتابها هذا صدى المشاعر أيتها الكاتبة أعترف أنكِ سرقتِني من نفسي و أجبرتِني على قراءة كلماتكِ و قصائدكِ

عاد للفهرس و قرر أن يقرأ خاطرة بعنوان (**أقنعة**) فتح الصفحة و بدأ يقرأ إلى أن استوقفته جمل و وضع تحتها خطوط

وغالبا ما ترينا قبحها متفننة بهدم أحلامنا أمام أعيننا

و نحن نقف عاجزين مكبلين مصدومين

و هناك قناع خبيث ترينا الحب من خلاله

ثم تكشف عن خبثها لترينا أننا كنا نعيش بوهم

قال صحيح هذا الكلام و بدأ يفكر لو أن والده موجود ربما ذهب لأبيها و حاول إقناعه أنه يجب أن تنتهي هذه العادات التي لا تناسب تعاليمنا الإسلامية و ربما يذهب لعمها و ابنه و أقنعهما أن يتراجعا عما يقومان به من خطأ كبير أين أنتَ يا والدي فأنا أحتاجك الآن بجانبي أكثر من أي وقت مضى ثم عاد للكتاب بعد أن هربت من عيناه دمعة رغماً عنه فنظر للفهرس من جديد و رأى خاطرة بعنوان (**حرمان**) بدأ بقراءتها و وضع خط تحت هذه الجملة و هو يشعر بالقهر الذي ملأ صدره

و تتدرج الأوجاع حسب فقدنا للشخص و حاجتنا لحنانه

ثم أكمل القراءة إلى أن رأى كلمات شعر معها أن الكاتبة تتكلم بلسان حاله

فمنهم من حُرموا من أشياء بديهية يفرضها العقل

بعد محاكمته للأمور و وزنها

فعلاً عمها و ابنه حُرموا منها فكتب على ذات الصفحة

ليس من البديهي أن يفرض شخصاً نفسه على فتاة لا ترغب في الزواج منه أين كرامته ؟

كيف سمحت له لرجولته أن يغتصب فتاة من لحمه و دمه ؟

نعم هذا اسمه اغتصاب مشروع يباركه الأهل لكنهم لا يعلموا كم من الأوزار يحملون

كيف يجبرون فتاة على الزواج من شخص لا تريده ؟

كيف يقبل والدها أن يقتل سعادة ابنته بيده ؟

كيف يجعلها يتيمة و هو على قيد الحياة ؟

نعم يتيمة فالفتاة التي لا تملك أباً يحارب الدنيا من أجل سعادتها و لا يحميها من الشخص المغتصب هي يتيمة و مقهورة

بل على العكس هي أكثر من يتيمة لأن والدها يقدمها هدية لمغتصبها و بشكل يحسب أنه شرعي لكن الشرع بريء من عقد القران هذا لأن شرط العقد موافقة الفتاة و إلّا يكون العقد باطلاً و شمس لا تملك خيار الرفض ما هذه العادة السيئة

أكمل القراءة حتى أعجبته بشدّة هذه الكلمات

و أكثرنا محروم من نفسه

لأننا دائما يجب أن نفعل ما يطلبه الآخرون و المجتمع

و ليس ما نريده نحن

فنبقى في حالة عدم اتزان و خوف

و قلة ثقة من الإقدام على أيّ خطوة نريدها

و حين يخوض من حولنا بأحاديث تمس ما نحن محرومون منه

تدمع قلوبنا قبل عيوننا

و نجتهد لإخفاء الدموع الّتي غالباً ما تقهرنا و تسيل رغماً عنا

فالحرمان من أيّ شيء هو كجمرة دائمة التوهج

تكوي القلوب و لا تنطفئ

يا إلهي هذه الكلمات تصف حالتي بدقة غريبة لو أنني أنا من يكتب لما استطعت ان أعبر بهذا الشكل البسيط و الجميل ثم فجأة وقف حين تبادر لذهنه هذا السؤال ؟

كيف يستطيع كتاب وصف حالة شخص معين ؟

أيعقل أنني أتوهم و هذا الكتاب لا وجود له من الأساس ؟

فعلاً أنني أتوهم بدليل أن والدتي لم تعيده للمكتبة كما تفعل دائماً

نعم هذا تفسير منطقي لكن كيف ؟

هل أكذّب عيناي و أنا أقرأ ؟

أم أكذب يدي و هي تمسك به ؟

لا لن أكذّب عيناي و سوف أسأل والدتي إن رأت الكتاب و لما لم تعيده للمكتبة ؟

ذهب للمطبخ حيث كانت والدته تحضر الحلويات التي يحبها وائل شعر و كأنه ولد صغير يتلصص على والدته كي يسرق بعض حلويات العيد فابتسم و عندما رأته والدته ابتسمت هي الأخرى هذا هو مرادها أن تنسيه ما جرى و لو لبعض الوقت حاول أخذ قطعة فضربته والدته على يده و قالت اتركها إنها لم تنضج بعد أخذها و

هرب خارج المطبخ مثل الأطفال و هو يضحك بعد أن ألتهمها عاد للمطبخ و وقف على الباب منتصراً ثم تذكر

- جئت لأسألكِ عن شيء فأنستني رائحة الكعك الشهية كل شيء
- ليس هناك ما تسألني عنه أنت تحاول أن تلهيني كي تسرق قطعة كعك أخرى إنّي أنبهك سوف أعاقبك
- لا لن أفعلها مجدداً و ضحك ثم قال فقط جئت أسألكِ هل نظفتِ غرفتي اليوم ؟
- نعم لماذا هل تفتقد شيء ؟
- لا ، لم تجدي شيء على المنضدة ؟
- لا ، لم يكن فوقها غير الكتاب ما الذي تفقده ؟
- جوابكِ هذا ما كنت أفتقده شكراً عزيزتي

ابتسم و هو يحدث نفسه سراً إذاً لقد رأت الكتاب و أنا لا أتوهم وجوده فسألها لما لم تعيدي الكتاب إلى المكتبة كعادتكِ ؟

- لا أعرف هناك شيء ما همس داخل أذني بأن لا أعيده و عندما قرأت إحدى قصائده أعجبتني كثيراً عندما تنتهي من قراءته سوف أقرأ باقي قصائده لا تنسى احضاره لي

تفاجأ وائل أن أمه أعجبتها هذه القصائد النثرية مثله تماماً فسألها

- أي خاطرة قرأتِ ؟
- لا أعلم أعتقد أن اسمها كنز
- لم أقرأها بعد و أنتِ لا تنسي عندما تنتهين من صنع هذه الحلويات الشهية أن تخبريني كي ألتهمها كلها فضحكا سوياً

ثم عاد لغرفته و هو يقول

آهٍ يا شمس كيف استطيع أن أخرجكِ من قلبي و عقلي ماذا فعلتي بي أمسك القلم و الكتاب و بدأ يقلب صفحاته رأى خاطرة بعنوان (جاذبيّة) بدأ بقراءتها

سرعان ما تتقبلها و كأنما هذه الأشعة قامت بسحرها

لتنومك بشكل مغناطيسي يشعرك بشغفٍ لهذا الشخص

حتى دون أن تعرفه عن قرب

ثم ترتد و تردك معها للمنبع

بشكل موجات مغناطيسية قامت بعملها

أَسَرَتك و أسرّتك و عادت بك محتفلة بالنصر

يخالجكَ شعورٌ جميلٌ كلما مرّ بك أو بذاكرتك

أكمل قراءة الخاطرة و عندما انتهى عاد و قرأ الجمل التي وضع تحتها خطوط و تأملها و قال أشك أن هذه الكاتبة و شمس اتفقتا ليفقداني عقلي صمت للحظة و ناقض نفسه و قال

ما الذي يفقد العقل في هذا الموضوع ؟

فأجاب نفسه و قال هذا هو الأدب و الشعر يصف الشعور بدقة و جماليّة تلامس أوتار الروح ، هو الذي تشعر أنه كُتِبَ لأجلك ، وخاصةً إن كان الكاتب يملك الكثير من الذكاء كهذه الكاتبة التي جعلتني أشعر أن كل كلمة كُتِبَت لي و موجهة لي و تصف حالتي و تعبر عني ثم قال ماذا أصابك يا وائل أصبحت تكلم نفسك كثيراً هذه الأيام ثم قلّب الصفحات قليلاً فرأى قصيدة بعنوان (**جنون مؤقت**)

أراد قراءتها علّه يعرف سبب جنونه الحالي أمسك قلمه بدأ و بالقراءة

لا ادري ما أصابني

هل الملل نجح في تعكير مزاجي ؟

أم مزاجي المُعكر نادى للملل كي يعطي صفة لحالتي ؟

لا أدري لماذا تتسلل لعقلي أفكار ساذجة جداً

أكمل قراءة الخاطرة لكنه أكتفى و لم يضع المزيد من الخطوط و دون وعي بدأت بالفعل الأفكار الساذجة بالتسلل لعقله ثم قال كأنني تعلقت بهذه الكاتبة جداً ، لا أعتقد إنه مجرد اعجاب فأنا أحب شمس صمت قليلاً ثم قال لكن تفكيري تشغله كلتاهما هذا صحيح بينما قلبي تحتله شمس فقط

شعر أن مزاجه أفضل و أن خطبة شمس من أبن عمها لم تعد تُهمه و كأنه غير موجود و أن شمس ستكون من نصيبه هو

ثم قال ما هذا التفاؤل يا وائل ؟

هل هي الحاسة السادسة أم ماذا ؟

لا أدري لكني كُلّي يقين بأن الله سيكون معي لأني أحببتها ستكن من نصيبي إن شاء الله و ستنير حياتي شمس الشموس ثم قال تعالي و اسمعي وائل كيف يتغنى باسمكِ يا شمس

و ضحك ثم تذكر الحلويات فجأة و عاد للمطبخ فضحكت والدته حين رأته و قالت بطنك دليلك ما إن انتهيت من صناعة الحلويات حتى جئت و كأنك كنت تراقبني ضحك وائل و بدأ يأكل حينها علا رنين هاتفه النقال أجاب و بدأت أم وائل تحقيق

- من المتصل ؟
- إنه فارس صديقي يشعر بالملل هاتفني لنخرج بعض الوقت و أكمل ما تبقى في صحنه من الحلوى

ذهب وائل و قابل فارس و ذهبا سوياً بسيارة فارس إلى إحدى المقاهي العائلية سأل وائل

- ما الأمر يا فارس ؟

ما الذي تريده ما هذا الموضوع الذي لا ينتظر للغد ؟

- فارس : انتظر عندما ندخل المقهى سنتكلم

دخلا و جلسا و ما إن جلسا حتى تعلقت عيون وائل بعيون جميلة يحبها و يعرفها

إنها شمس كانت تجلس مع إحدى صديقاتها و في نفس اللحظة أخفضا بصرهما كلاهما و كأنهما يحاولان تجاهل بعضهما

بدأ يتكلم فارس و وائل يهز رأسه لكنه لم يسمع أو يفهم شيء مما قاله له فارس كان مشغول بحبيبة قلبه التي سلبت لبّه

ينظر لها و حين تسترق النظر له يرفع بصره عنها محاولاً التجاهل و هي كذلك عندما ينظر لها تهرب بنظراتها على الفور و تحاول اخفاءها كأنها جريمة

صرخ فارس في وجه وائل ما بك ؟

تلعثم وائل و هو يجيب

- نعم لا شيء أكمل أسمعك
- أقسم إنك لم تسمع شيء مما قلت
- تبسم وائل بخجل و قال صحيح
- ما الذي يجري ؟
- لا شيء
- وائل هيا لنعود للمنزل
- لا لماذا لم يمضي على جلوسنا نصف ساعة بعد ؟

قامت شمس و صديقتها و خرجا من المقهى فأكمل وائل حديثه بعد أن صمت قليلاً

- هيا لنعود
- ما بك وائل إن حالك يصعب على الكافر ما الذي يجري ؟
- سأخبرك لاحقاً لنذهب الآن

دخل وائل لمنزله و رأى والدته تجلس مع عمته ألقى التحية و مازح عمته قليلاً و سألها عن صحتها ثم ذهب لغرفته فهو مسرور و من يراه يقرأ الفرح الواضح في عيناه كيف لا و قد رأى شمس

استغربت تصرفاته عمته و سألت والدته عنه فقالت والدته

- عندما كلمتني والدة شمس ظهراً و علم ما قالت غضب جداً و انزوى و اكتأب لكن سرعان ما تبدل حاله و كأن شيئاً لم يكن و خرج مع صديقه و عاد بهذا المزاج الذي رأيته به

- نعم بالفعل قد يكون الأمر ليس مهم بالنسبة له فأنتِ على علم مسبق بموقفه من الزواج و كم بذلنا من جهد حتى وافق على هذه الخطبة
- لا الأمر ليس كما تظنين فأنا شعرت أن وائل أحب شمس جداً و عندما علم أنهم بحاجة وقت للتفكير جن جنونه و تعب إلى أن أقنعته أنها العادات و التقاليد و هكذا يتم الأمر
- إذاً ماذا أصابه ؟
- لا أعلم إنني في حيرة من أمري ، هل أكن مرتاحة البال لأنه لم يهتم كما يتظاهر ، أم أقلق لأنني أعلم بأنه يحاول إخفاء حزنه و قلبه مقهور
- لا تقلقي و لا تفكري في الأمر غداً سأزور والدة شمس و استفسر عن التفاصيل و أحاول جاهدة تغيير هذا الواقع

- أشكركِ و عند عودتكِ هاتفيني و أخبرني بكل التفاصيل و إن استطعتِ تعالي لنتناول الغداء معاً
- اتفقنا

عادت شمس لمنزلها مسرورة لتلك الصدفة التي جمعتها ب وائل و لو من بعيد و تسأل نفسها

لماذا كل هذا الفرح ؟ هل أحببته ؟

لا إنه مجرد اعجاب و لكن اعجاب بماذا ؟

لا أعرف و لا استطيع تحديد طبيعة مشاعري تجاهه

تذكرت شمس كيف كان ينظر لها في المقهى و تبسمت و تذكرت كلمات أغنية يا عاقد الحاجبين للرائعة فيروز

(تبدو كأن لا تراني و ملئ عينك عيني و مثل فعلك فعلي ويلي من الأحمقين)

وسألت نفسها هل نحن بالفعل أحمقين ؟

تبسمت و دندنت الأغنية

بينما كان وائل يقف عند نافذة غرفته و لا يعرف لما هو مبتسم لكن سرعان ما تلاشت هذه الابتسامة عندما طرق الواقع أبواب الحلم ليذكره بوجوده حينها فقط تذكر أن شمس ليست له لأن أبن عمها تقدم لخطبتها و سيفوز بالموافقة رغماً عن الجميع بما فيهم شمس و والدها كسى الحزن ملامح وجهه و تذكر أنه لم يصلي العشاء

أدى الفريضة و عاد لغرفته عندها شعر أن الكتاب يناديه أمسك بالكتاب و كالعادة بدأ يقرأ العناوين من الفهرس ليختار الخاطرة التي يجذبه عنوانها و لم ينسى القلم فكان اختياره هو الخاطرة الرابعة

بعنوان (**قساوة القدر**) لكنه لم يضع خطوط هذه المرة لأن الخاطرة كلها أعجبته أبى أن يظلم الجمل فيختار إحداها سوى الأخرى كلام جميل و منطقي و لو أني قرأته من قبل لظننت أن الكاتبة تعاني من الجنون كيف تقول عن حب ليس ممنوع إنما غير مسموح به

لكن بالفعل هذا حالي معكِ يا شمس و أكثر ما أعجبني هذه الجملة

لكن الحبّ يجري مسرعاً يشقّ طريقه في هذا الزّحام

فيتخبّط بالجنون تارةً و بالحزن تارةً أخرى

و تارةً يتعثر لكنّه ينهض مسرعاً ليكمل الطريق

أي طريق هذا الذي سنكمله سوياً يا شمس بعد أن غابت شمس الفرح عن حياتي بغيابكِ

غفى دون أن يشعر و هو جالس على الكرسي جاءت والدته لتخبره أن العشاء جاهز فرأته على هذا الوضع و الكتاب بين يديه مفتوح على خاطرة بعنوان قساوة القدر عندها وصلت لها مشاعر غريبة ممزوجة بالحزن و القهر و العجز و اليأس و بعد أن قرأت الخاطرة شعرت أن قلبها أنفطر حزنا على ولدها و علمت أنها كانت محقة فهو عَشِقَ شمس

أيقظته لينام على سريره و ذهبت هي أيضاً تحاول أن تنام لم تعد تملك الشهية لتناول الطعام

شعر وائل أنه نام دهراً لكنه يرى أن الظلام يحيط به من كل جانب أيعقل أن الليل طال لهذه الدرجة بحث عن هاتفه النقال عندما وجده كانت الساعة تشير للثالثة و النصف صباحاً عندها سمع صوت المآذن تعلو بالتكبير فنهض ليصلي الفجر و ناجى ربه أن تكون

شمس من نصيبه و أن تنتهي هذه الغيمة السوداء ثم أمسك القرآن الكريم و بدأ يتلو آياته انتهى من تلاوة القرآن الكريم و ذهب متجهاً للمطبخ أعدّ القهوة و عاد بها لغرفته فرأى الهواء الداخل من النافذة يقلب الصفحات لم تكن الصفحات تحمل عنواناً يبدو أنها خاطرة طويلة أراد الهواء تقليب الصفحات مجدداً لكن وائل لم يسمح بذلك قبل أن يقرأ الجمل التي لفتت نظره

لا أعلم ماهي الساعة التي يستند إليها ليدير أوقاته

و غالباً يتغلب الحب علينا

و مهما حاولنا الهرب لا نستطيع

فكأنما ندور في دائرة مغلقة

نراه يقف أمامنا

مبتسماً منتشياً بالنصر

فنقف مبتسمين مستسلمين

و للمرة الأولى أرى حرباً رقيقة

و استسلاماً نرغب به

و احتلالاً جميلاً

لكن للأسف مثله مثل باقي المستعمرين

يذهب مخلفاً لنا دماراً شاملاً

نبقى سنين نحاول التعافي منه

فعندما تضع الحرب أوزارها

تبدأ الحياة من جديد ببهجة

أما عندما يضع الحب وزاره

تنتهي الحياة الجميلة ليحتلنا اليأس

عندما انتهت الخاطرة عاد بالصفحات للخلف ليقرأ العنوان الذي كان (**الحب و الحرب**) هنا عادت الأسئلة تتسلل لذهن وائل و قال

هل الحب يجب أن يرافقه حرب ليفوز المحبوب بمحبوبته ؟

فعلاً لم اسمع عن قصة حب مرت بسلام

هل الحرب لعنة حلّت على الحب ؟

و بدأ يكلم نفسه ناصحاً منذ مدّة و أنت متكاسل و لم تمارس أيّ من التمارين الرياضيّة لا تهمل الرياضة يا وائل

بعد أن انهى تمارين الرياضة ذهب لعمله و عندما عاد من العمل رأى والدته و عمته جالستين يتسامرا بفرح نظر لهما بطرف عيناه

و قال سترك يا الله هذا الاجتماع النسائي لا بد أنه اسفر عن حل معضلة أو اعطى الضوء الأخضر لتقام الحرب التي لا أعرف على من و أدعو الله أن لا أكون أنا من ستقيمان عليه الحرب أعلم إنها ساعة الصفر

ضحك الجميع و أكمل وائل كلامه هاتا ما عندكما على وجه السرعة

فقالت والدته غير ثيابك الغداء جاهز و نحن بانتظارك

- لا لن أبرح مكاني و لن أتزحزح قبل أن أعرف سركما و ماذا تخفيان هيا اكشفا المستور
- عمة وائل : هيا يا ولد اسمع الكلام

يهز وائل كتفاه و حاجباه علامة النفي و ضحك الجميع مجدداً

- قالت أم وائل : ما هو اليوم ؟
- وائل : الخميس

- أم وائل : و ماذا يفترض أن يكون ؟
- وائل : لا ليس اليوم هو يوم مولدي و لا أنتِ يا أمي أهو يوم مولكِ أنتِ عمتي ؟
- عمة وائل : كُفَّ عن المزاح يا وائل
- وائل : إذاً تكلمي يا عمتي بيني و بينكِ سرّ لن أخبر والدتي
- أم وائل : من المفترض أن تكون خطبتك أنت و شمس اليوم صحيح ؟
- وائل : تنهد و قال صحيح و هو يشيح بنظره للأسفل
- أم وائل : هيا إذاً لنتناول الغداء وتجهز نفسك و لا تنسى أن تشتري بعض الحلويات و الورود
- وائل : تقطبا حاجبا وائل في عدم استيعاب لما قالته أمه و قال ماذا ؟ لحظة من فضلكِ يا أمي دعيني أفهم ما قلته إنه أمر

خطير و بدا السرور واضحاً على محياه و كأن كل خلية في جسمه تغني و ترقص

- عمة وائل : ذهبت اليوم لمنزل شمس و قابلت والدتها و سألتها عن تفاصيل الموضوع فقالت أن ابن عمها تقدم لخطبتها فقلت لها إن الخطبة هذه لا تجوز و نحن قد سبقناه في طلب يد شمس لوائل أجابت بأن عمها و ولده ليس لديهم فكرة عن طلبكم يد شمس لأن والد شمس أُحرِج من أخيه و لم يخبره بالأمر فسألتها
- ما موقف شمس هل وافقت أن تتزوج أبن عمها؟

لم تجب و بدا الحزن عليها واضحاً فهمتُ أن شمس لم تكن ترغب بالزواج به فسألتها هل تمت الخطبة اجابت بأن اليوم بعد العشاء ستجتمع العائلتان و يعلنا الخطبة شكرتها و انصرفت خرجت من

منزلهم متجهة نحو السوق فأنا أعرف أن عم شمس يمتلك دكان يبيع فيه الأقمشة و عندما وصلت رأيت ولده أيضاً فأخبرتهم بالقصة و أضفت بأنني هنا لأوضح لك الأمر و كيف أن أخاك ارتبك و كان محرجاً منك لذا لم يخبرك و الآن ماذا ستفعل ؟

- عم شمس : لا يجوز أن تتم الخطبة بعد أن يتم رفض طلبكم و إن تمت الموافقة فلم يعد هناك داعي لخطبتنا و ستكون باطلة
- ابن عم شمس : والدي أنتَ تعلم أن شمس بمثابة أختي الصغيرة و هي تشعر أنني أخاها و أعلم أنها لا تملك تجاهي غير هذه المشاعر لذا اقترح أن تذهب و تكلم عمي إن كانت شمس موافقة على هذا الشاب فلتكن الخطبة اليوم و نفرح جميعناً ثم قال في سره لن اسمح بأن تتم هذه الخطبة بأي شكل أقسم على هذا و لو دفعتُ ما تبقى من عمري

- عم شمس : لا مانع لدي انتظريني ريثما أعود
- عمة وائل : أنا بانتظارك
- عم شمس : نحن بانتظاركم الليلة في منزل أخي

شعر وائل بأن هم كبير كالجبال قد أزيح عن صدره و قال هذا الكلام يفتح الشهية لذا لن تلحقا شيء من الطعام سألتهمه كله

ضحك الجميع بفرح عندما عاد لغرفته وائل استغر الله لأنه ظن سوء بعم شمس و ابنه فعلاً إن بعض الظن إثم و كم من الآثام الكثيرة كان سببها سوء الفهم فتوضأ و أدى فريضته و من ثم سجد لربه سجدة شكر على ما آلت إليه الأمور بشكل سريع و إيجابي

عند باب منزل شمس و قبل أن يطرقوا الباب تكلم وائل موجهاً السؤال لأمه و عمته من سيحضر الليلة ؟

- عمة وائل : لا أدري لكن عم شمس و ولده أكدا على وجودهما في منزل شمس الليلة و لا أدري إن سيحضر أحداً أخر من العائلة
- والدة وائل : لما تسأل ؟ لا تخف يا بني فالأمور على ما يرام
- وائل : لا ابداً لست خائفاً من باب العلم فقط هيا لنطرق الباب

عاد وائل من منزل شمس و هو يعتقد أنه يطير فرحاً و أن قدماه لا تلامس الأرض و أخيراً تمت الخطبة و قرأ وائل مع والد شمس الفاتحة على نيّة تمام الأمور على خير استلقى على فراشه و هو سعيد جداً و بدأ يفكر بشمس و جمالها و حياؤها و هو يبتسم حتى أن وجنتاه تعبتا من الابتسام لكنه يبتسم بشكل لا إرادي الفرحة سلبت إرادته و أكثر ما جعله يشعر بالراحة هو قلة عدد الاشخاص لم يكن هناك سوى عائلة شمس و عائلته و فجأة سأل نفسه

ألم تقل عمتي أن عمها و ابنه سيحضران ؟

لما لم يتواجدا في مثل هذه المناسبة ؟

ربما كانا مشغولين و ربما هناك سبب ما أو ظرف ما جعلهما يعتذران عن الحضور لكني كنتُ أود التعرف عليهما لن انسى موقفهما النبيل معي سأتعرّف عليهما إن شاء الله في الأيام القادمة و سأشكرهما بالتأكيد

عاد بتفكيره لحبيبة قلبه شمس و بدأ يفكر ماذا سيهديها في اللقاء القادم و هل سيختار الذهب هو و أمه أم أنها سترافقه و تختار بنفسها ثم بدأ يفكر بتغيير غرفة نومه لكنه لا يريد فهذه غرفته التي كبر فيها يحبها جدا فهي تحفظ اسراره إذاً سنشتري غرفة نوم جديدة و نضعها في إحدى الغرف و ستبقى هذه الغرفة لأبني الذي سأرزق به إن شاء الله أو قد تكون ابنتي التي تأخذ من جمال والدتها يا إلهي

كم أنا سعيد فعلاً لم أكن مخطئ حين قلت عنكِ شمس حياتي فالشمس مهما غابت و طال الليل لا بد من أن تشرق ثانيةً و ها قد سررتُ بشروقك يا شموسة عمري غفى و هو يفكر بحبية قلبه و تستعيد أذناه صوتها الرقيق الجميل

نهض بنشاط في صباح اليوم التالي و نظر للشمس من نافذة غرفته و ابتسم لها و هو يعتقد أنه يبتسم لحبيبته التي تحمل اسمها بعد أن كانت الشمس تسبب له الإزعاج كل صباح حين كانت أمه تفتح ستارة النافذة سبحان مغيّر الأحوال

تناول فطوره و ودع والدته ذاهباً للعمل و ما إن وصل المكتب حتى رأى أناس كثيرون منهم غرباء لا يعرفهم و الذين يعرفهم وجوههم حزينة و رأى شخصاً واحداً فقط يبتسم من هول الصدمة لم

يستوعب شيء استجمع قواه و سأل دون أن يوجه السؤال لشخصٍ معين و كأنه يسأل الجميع

- ماذا يجري؟
- فأجابه أحدهم بحزم و غضب تفضل معنا استاذ وائل و ستعرف لاحقاً ماذا الذي جرى
- فهم وائل أنه سيذهب لمكتب الأمن و سيكون هناك تحقيق فطلب من الشخص الذي أجابه أن يجري مكالمة هاتفية ليتصل بالمحامي الخاص به
- سمح له رجل الأمن و قال له بسرعة كي لا نتأخر
- أخرج هاتفه النقال و أتصل بالمحامي و طلب أن يحضر محامي الشركة أيضاً معه فوافق رجل الأمن و ذهب معهم وائل و هو في حالة صدمة و ذهول

عندما وصلوا بدأ المحقق الذي غزى الشيب شعره بسؤاله عن اسمه الكامل و عمره وعمله و مكان اقامته فأجاب وائل

صمت المحقق لبرهة و كأنه يتذكر شيئاً ما ثم أكمل و سأله

- ما رأيك بتهمة الاختلاس الموجهة لك

صعق وائل من سماع هذه الكلمات

- ماذا ؟ اختلاس ؟ كيف ؟
- ألستَ محاسب الشركة ؟
- نعم لكنّي لست وحدي هناك زميل لي و لا اعتقد أنه مختلس فهو نعم الموظف الأمين
- صُدِم المحقق من دفاعه عن زميله و علم بأنه يتحلى بأخلاق عالية و لا يمكن أن يكون وراء قضية الاختلاس هذه فقال له

زميلك أيضاً هنا و هو أيضاً ينفي التهمة عن نفسه و عنك حتى صاحب الشركة لا يريد اتهامكما لكنه يريد معرفة الذي يجري فهو يقول أنكما أمينين و تعملا في الشركة منذ زمن

- إذاً هلّ لي أن أفهم ما الذي يجري ؟
- أخرج المحقق ورقة و قال لوائل هل هذا توقيعك ؟
- نظر وائل للورقة أكاد أقسم أنه توقيعي لولا أني أستخدم أقلام الحبر التي طالما وبخني عليها مدير الشركة إلّا أني لازلتُ استخدمها و أخرج القلم من جيبه و وقّع للمحقق على ورقة بيضاء
- فقال المحقق ستبقى هنا حتى نكمل التحقيق

أخذ المحقق الورقة التي وقّع عليها وائل و الورقة التي كانت بحوزته و ارسلهما للجهات المختصة ليرى إن كان التوقيع مزوراً

و ذهب للشركة و سأل صاحبها إن كان كلام وائل صحيح فيما يخص قلم الحبر و أجاب صاحب الشركة بأن هذا الكلام صحيح بعدها ذهب لمكتب وائل و أخذ كل الأقلام الموجودة في المكتب و أرسلها ليتبين إن كان التوقيع قد تم بأحد هذه الأقلام و طلب أن يطّلع على كافة الأوراق الرسمية التي تخص الشركة و تحمل توقيع وائل

عندما رآها تيقن أن كلام وائل صحيح وأنه بالفعل يستخدم قلم الحبر الذي كان معه

عاد لمكتبه و انتظر نتيجة التزوير و هو يفكر بوالد وائل لأنه كان صديقه و رفيق دربه في النضال و تذكر كيف مات على كتفه و برغم الاشتباك حينها حاول انقاذه لكنه لم يستطع و دمعت عيناه على استشهاده و كأنه استشهد للتو و لام نفسه كيف لم يسأل على وائل و والدته كل هذه المدّة

وصلت النتيجة حينها للمحقق و قد تبين أن أحدهم قد زور توقيع وائل فأمر بإحضار وائل كي يفرج عنه

بينما كان وائل يفكر كيف حصل هذا تذكر كلام زميله حين جاء إليه ليخبره بأن الشخص الذي يدعى رفيق يحاول الإطاحة به و تذكر عندما سأل نفسه كيف سيستطيع أن يؤذيني ؟

الآن عرف وائل الإجابة ها هو بالفعل أذاه

عندما وصل كان المحقق بانتظاره فأخذه بالأحضان و طلب من وائل أن يسامحه لأنه قصر بحقه و قال له أنه صديق والده و عندما سمع اسم وائل قال لنفسه أنه من المحال أن يكون ابن صديقه الشهيد مختلس و بالفعل قد ثبتت براءتك يا وائل لكن قلّ لي هل لديك أعداء؟

- لا صمت لبرهة ثم قال منذ مدّة توظف شخص في الشركة اسمه رفيق و سمعت من زملائي بأنه يحاول تشويه سمعتي و طلبوا مني أن احتاط منه لكني لم اتوقع بأن يفعل هذا بي
- جيد لقد بدأت تتوضح معالم القضية سوف اكمل التحقيق بنفسي لا تشغل بالك يا وائل لكن ما اسمه بالكامل
- لا أعلم

و بالفعل استدعى المحقق ذاك الشخص الذي يدعى رفيق

سرّ وائل من سماع هذا الخبر و شكر المحقق و غادر مكتبه لم يعرف إلى أين يذهب ثم قرر الذهاب للمنزل بعد تلك الساعات الطويلة و العصيبة التي مرّ بها عندما دخل للمنزل رأى أمه غاضبة

- لماذا هاتفك مقفل و لماذا لا تجيب على هاتف الشركة ؟
- لا شيء يا أمي واجهتنا مشكلة في الشركة و قد حُلّت الحمد لله

- ماذا جرى ؟

- لا تشغلي نفسكِ ماذا طهيتِ لنا اليوم ؟

- لا شيء فقد كنت متوترة و مرتبكة و خائفة عليك

- لا عليكِ سأطلب طعام من المطعم

ذهب وائل لغرفته ليغير ثيابه و يصلي لكن والدته ظلت قلقة على ابنها و تسأل نفسها ماذا جرى و تحمد الله أنه بخير

وصل الطعام لكنها ترى وائل يأكل من غير شهية و كأنه يجاملها حاولت إخراجه من همه الواضح فقالت له أن أم شمس هاتفتها و عزمتهما هذا المساء على العشاء

- و ماذا أخبرتها ؟

- بالطبع وافقت فأنا أعلم أنك تحب الذهاب لترى شمس

- حبذا لو اعتذرتِ فأنا منهك اليوم و لا مزاج لي لرؤية أحد أو الخروج من المنزل
- صدمت والدته من رده وقالت له لا استطيع الاعتذار الآن لا تحرجني و أنت المذنب لأني حاولت مهاتفتك مراراً و تكراراً لأخبرك لكنك لم تجيب
- هز رأسه موافقاً وقال لها أمراً و طاعة يا مولاتي

أراد أن يكن طبيعياً لكنه لم يستطع و يعلم أن والدته تعرفه حتى و إن كذب عليها فقال لها سأذهب لأرتاح قليلاً

ذهبا لمنزل شمس وعندما فتحت والدتها الباب كان يبدو انها ليست على ما يرام و عندما دخلا كان الجو العام في المنزل كئيب يبدو أن هناك خطبٌ ما جلسا و عمَّ الصمت و لم يرى وائل شمس ثم بدأ والد شمس بالحديث و قال

- كان من المفترض أن يكن هذا العشاء للتعارف أكثر لأننا سنكون أسرة واحدة ثم صمت
- سأله وائل و لماذا قلت من المفترض ؟ نحن بالفعل أصبحنا أسرة واحدة
- كنا سنكون أسرة واحدة لكن لن أزوج أبنتي من مسجون
- صعقت أم وائل و قالت ما هذا الهراء ابني لم يسحن قط
- فهم وائل و قال إنه سوء تفاهم فقد واجهتنا مشكلة اليوم في الشركة لكنها حُلت الحمد لله و أنا لم أسجن ها أنا ذا أمامك
- ارتبك والد شمس ولا يعرف ماذا يقول فدخلت شمس الغرفة و قالت هذا صحيح وائل أمامك و ليس في السجن

صمت الجميع و ابتهج وائل و والدته كيف أن شمس تدافع عن وائل

سمع الجميع باب المنزل و هو يُطرَق بقوة ذهب والد شمس ليفتح الباب و إذ بصوت عمها يملأ البيت و هو يقول

- إن لن تفسخ خطبة ابنتك من هذا الشخص السيء لن تكن أخي بعد اليوم
- لا يا أخي هناك سوء تفاهم و وائل ليس مختلس و لا مسجون ها هو ذا جالس في بيتي
- الله الله تستقبله و هو الذي سجن ابن اخيك
- ماذا هل رفيق في السجن ؟ لماذا ؟ و ما علاقة وائل بسجنه ؟

حينها اجتمع الجميع عند باب الدار و سأل وائل

- هل رفيق أبن اخيك يا عمي

- فأجاب العم يا لك من وقح و قليل الأدب صحيح كما يقول المثل تقتل القتيل و تمشي في جنازته
- لم أكن أعلم
- قاطعه عم شمس و لم يعطه فرصة للدفاع عن نفسه و قال له اذهب من هنا و لا تعود ليس لدينا بنات للزواج أفهمت ؟
- لا يا عمي وائل خطيبي و بيتي بيته و لن أدعه يذهب حتى أفهم ما الأمر

فهي في قرارة نفسها تعلم أن ابن عمها لن يتنازل عنها بسهولة و عرفت أنه يدبر و يخطط لأمر ما لكنها لم تعرف أنه عَمِل في نفس الشركة التي كان يعمل فيها وائل

- أتسمع ابنتك يا اخي ترفع صوتها و تكسر كلامي و أنت موجود يا لكِ من قليلة الأدب و لم يعرف أخي كيف يربيكِ سأربيكِ أنا و لن تتزوجي سوى ابني رفيق أسمعتِ ؟

- لا يا أخي لن أسمح لكَ بأن تهين ضيوفي و ابنتي بهذا الشكل و لن أجبر ابنتي على الزواج من شخص لا تريده ما دمتُ على قيد الحياة و شمس ربيتها و علمتها و لم تقل شيئاً غير صحيح يجب أن نتبين ما الأمر
- ذهب عم شمس و هو يشتم و يقول لا أنت أخي و لا أنا اخاك من بعد اليوم

عاد الجميع للجلوس و والد شمس في موقف لا يحسد عليه لأنه وقع بين خيارين أحلاهما مرّ ويله اخيه و ابنه من جهة و من جهة أخرى ويله سعادة ابنته التي رآها في عينها و هو يعرف أن وائل بريء لأنه يعرف ابن اخيه و أفعاله المشينة و هو لا يرضيه أن يكون زوجاً لابنته و محال أن يسمح له ضميره بأن يظلم وائل

أما والدتها فكانت في قمة السعادة لأن أبنتها لم تكن شخصيتها ضعيفة و هشّة بل على العكس واجهت عمها و ستحارب من أجل حبها و سعادتها ثم قالت في سرّها

كلٌّ منا يا ابنتي حاربت بطريقتها و ابتسمت

- قال والد شمس هلّا تقول لنا ما الذي جرى يا وائل
- بدايةً لم أكن أعلم أن رفيق ابن اخيك من مدة جاء لي أحد زملائي و أخبرني أن هناك موظف جديد في الشركة اسمه رفيق يتكلم عني بالسوء و يشوه سمعتي و طلب مني أن آخذ حذري منه و أن أحتاط لكني لم أحمل كلام زميلي على محمل الجد لأني لم آذي أحداً في حياتي و ليس لي أعداء و لم تكن لديّ فكرة كيف سيؤذيني لذا تجاهلت الأمر و في صباح اليوم حين وصلت للمكتب رأيت رجال الأمن موجودين و أخذوني

معهم و قالوا لي أني متهم بقضية اختلاس لكن لحسن الحظ لم يكن يعلم رفيق أني استخدم قلم الحبر في توقيعي لذا جاءت النتيجة أن احدهم زوّر توقيعي و عندما سألني المحقق هل لي أعداء تذكرت حديث زميلي عن رفيق الذي يشوه سمعتي و تذكرت ابتسامته الشامتة هذا الصباح وقلت هذا للمحقق و تم الإفراج عني و خرجت براءة و شهد كل موظفي الشركة بما فيهم صاحب الشركة بنزاهتي و أمانتي

يبدو أنه فعلاً من قام بتزوير توقيعي لأن والده يقول أنه في السجن هذا كل ما في الأمر لكن لما يفعل هذا بي ؟

- لا أعرف ماذا اقول إنما رفيق يحب شمس و يحلم بالزواج منها
- فقالت والدة شمس فعلاً صدق من قال من حفر حفرة لأخيه وقع فيها و ها هو ذا وقع في شر أعماله

- اجابها والد شمس صدقتي اعتذر منكَ يا بنيّ و آسف على هذا الموقف الذي وضعك فيه ابن أخي
- لا يا عمي لا تقل هذا لا علاقة لك بالأمر و أنا اشكرك لِسِعةَ صدرك و السماح لي بالدفاع عن نفسي ثم نظر لوالدة شمس و قال سمعت أننا مدعوون على العشاء أين هو فأنا أتضور جوعاً هل ساعدتكِ شمس ؟

ضحك الجميع و تبدل ذاك الحزن كان الجميع يضحكون و مستمتعين بسهرتهم إلّا والد شمس كان قلقاً جداً فهو يعرف أن أخاه لن يسكت و هذه كانت ساعة الصفر فالحرب الآن دائرة بينه و بين أخاه و لا يعرف كيف سيكيد له و لأبنته رغم أنه اعتقد أن السجن رباه و قوّمه لأنه بدا أكثر رزانة من ذي قبل و ذهب للحج لِيُكفّر عن ذنوبه لكنه يعرف لن يصلح العطّار ما أفسده الدهر و لن يُعلّمه

السجن شيئاً بل زاد الطين بلة و يقسم أنه رأى المكر في عيون أخيه أكثر من مرة و عرف أنه أحاط نفسه بهالة دينية ليخفي شيئاً خلفها حينها اقتربت منه زوجته و همست في أذنه هذه الآية الكريمة

(و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين)

و ابتسمت و ابتعدت و كأنها كانت تقرأ أفكار زوجها و إذ به يتنفس الصعداء و يبتسم و يشكر الله في سره أن رزقه زوجة صالحة مثل أم شمس فنظر لشمس و دعى ربه أن تكن زوجة صالحة مثل أمها و ما زاد ابتسامته أنه رأى الفرح في عيون شمس و شعر بالسعادة التي تملأ قلبها فتمنى لها أيام جميلة

كانت أم وائل أيضاً في حالة قلق لأنها عرفت أن عم شمس و ابنه ظالمين و لا يخافا ربهما صباح هذا اليوم كان ابن عمها سيسجن وائل و يشوّه سمعته بالسرقة ماذا سيفعل الآن بعد أن كُشِفَ على

حقيقته أقسم أن غلّه و حقداه زادا و سيعميانه تنهدت و دعت لولدها يحفظك الرحمن يا بنيّ عندها اقتربت أم شمس منها حيث كانت تضيفها الحلوى التي أعدتها شمس بيدها و شعرت بقلق أم وائل فابتسمت بلطف و قالت لها

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا)

صدق الله العظيم

ابتسمت أم وائل لكن قلبها لم يطمئن ليس قلة ايمان إلّا أنه قلب الأم و إحساسها الذي لا يخيب لكنها تيقنت أن شمس ستصون ابنها و تحبه و أعجبت بقوة شخصيتها و ذكاؤها و دفاعها عن وائل و فرحتها بوجوده عرفت أن ابنها مع فتاة مثل شمس سيقوى على

الحياة و مصاعبها و سيتغلب على الظروف لكن عمها و ابنه يشكلان خطراً حقيقياً لا تستطيع تجاهله

في الأثناء التي كانت فيها والدة شمس تحاول أن تبث الطمأنينة في قلوب الجميع و تزيل مخاوفهم بابتسامتها الجميلة و اللطيفة المليئة بالحنان التي تأسر من يراها إلّا أنها كانت من الداخل تبكي دماً و لا تريد أن يعرف أحداً أو يشعر بها فهي تعرف سبب ما يحدث منذ أكثر من عشرون عام بدأت الذكريات تطرق أبواب ذاكرتها التي اعتقدت أنها نسيتها و تتسارع للدخول و هي في طريقها للمطبخ لدرجة أنها شعرت بأنها تعيش التفاصيل كما لو كانت تحدث للتو و تذكرت صورة عم شمس و هو يلاحقها من مكان لآخر رغم علمه أنها خطيبة أخاه لكنه كان ينغص عليها عيشتها و فرحتها فهي لا تريد أن تخبر أحداً لأنها ستفتح الباب لحرب دامية و ثأر لن ينتهي و

أيضاً كانت تحب خطيبها و لا تريد أن تخسره و تتمنى أن يتم زفافها على خير و تذكرت كمية القلق و التوتر الهائلين تلك الليلة لأنه وعدها سيقتلها و يقتل أخاه في العرس و أمام الجميع و لن يعرف أحد من القاتل شعرت أن عمرها كلو في كفة ميزان و ليلة عرسها و ما حملته من خوف و قلق في الكفة أخرى و أيضاً لم تخبر أحد لأنها آثرت الموت مع حبيبها على أن تجرحه و تتركه و تكون زوجة لشخص لا تحبه و هي بكتمانها كانت تعرف أنها تحقن الدماء فعادات العرب صارمة و قاسية و الثأر لا ينتهي

لكنها لم تستوعب كيف مرّت ليلة العرس بسلام و لم تراه و لم ينفذ وعده المجنون و يقتلها و يقتل أخاه ظلت تسأل نفسها ما الذي يجري يا ترى هل هو الهدوء الذي يسبق العاصفة أم أن الله استجاب دعائي و ابعده عني ظلت على حالها هذا حتى صباح اليوم التالي حينها

سمعت أن الشرطة ألقت القبض عليه هو و مجموعة من الشبان متلبسين في قضية تهريب بعض الأدوية الممنوعة و المنتهية مدة صلاحيتها و بعد عدة ايام حُكِمَ عليه بالسجن خمسة عشر عاماً و بقيت زوجته المسكينة تندب حظها و حظ ابنها الوحيد عندما سمعتُ الحكم تنفستُ الصعداء عشت أنا و زوجي بسلام و انجبنا شمس و أخاها الذي توفي قبل أن يبلغ عامه الثالث و لم يشأ الله أن أنجب بعدها و كنا أنا و زوجي نساعد زوجته و ابنه الطفل الذي بلغ العاشرة من عمره و لا علاقة له بما حدث و نغمرهما بالحب و العطف و بعد عامين اختارت زوجته الذهاب لتعيش في منزل أهلها فوافقت العائلة و ذهبت و بدأت زياراتها لنا تنقطع شيئاً فشيئاً و هناك لم يتلقى ابنها رفيق التربية الصالحة و توفت بعد سجن زوجها بسبعة أعوام دعاه أعمامه للعيش معهم فهو ابن أخاهم من لحمهم و دمهم لكنه أبى و لم يرى أحداً من أعمامه طيلة سبعة أعوام أخرى و

بعدها انتهت فترة الحكم و اجتمعت العائلة و ذهبت لاستقبال ابنهم الي سيخرج من السجن عندها رأى رفيق شمس و فُتن بها و شجعه والده و كنا نعرف أنه يريد أن يخطب شمس لكن شمس من الواضح أنها لم تكن تستلطفه و تحب أن تبقى في غرفتها في حال وجودهم و هما كانا ينتظران أن تكبر و تنهي دراستها لأنهم على دراية بأن والد شمس لن يزوجها حتى تنهي دراستها و أنا أيضاً كنت أبقى في المطبخ هرباً من نظرات والد رفيق لي و اتجنب الصدفة التي تجمعنا و اقسمت حينها لن اسمح لرفيق و والده أن ينغصا عيشة ابنتي كما فعل والد رفيق بي كل الفتيات ينتظرن يوم زفافهن بفارغ الصبر و يفرحن و يرقصن إلّا أنا كنت أشعر أنه عزاء و لم أكن قادرة على الوقوف من كثرة الخوف لن اسمح لرفيق و ابيه أن يسرقا سعادة ابنتي ثم انتبهت لنفسها كيف كانت تتكلم و كأنها تكلم أحداً أمامها و حين استدارت رأت والدة وائل خلفها تقف على عتبة

المطبخ فابتسمت لها أم وائل و قالت لها لا تخافي سنتحد و نحارب رفيق و والده كي تدوم سعادة أولادنا

أخفضت رأسها والدة شمس بخجل و خاصة أنها لم تكن تريد أن يعرف أحدا بهذه القصة و كتمتها لسنين طويلة و الآن أول شخص يعرف بها هي حماة ابنتها لكن أم وائل كانت متفهمة و حريصة على سعادة وائل و شمس و على العكس قالت لوالدة شمس

- كم أنتِ جبارة و قوية و مؤمنة لتحملي كلّ هذا الحمل لوحدكِ كلّ هذه المدة أنتِ رائعة و أنا التي كنتُ أندب حظي بسبب استشهاد زوجي و كنت أرى نفسي المحاربة التي تواجه الدنيا لوحدها من أجل ابنها لكني بعد أن سمعت قصتكِ عرفت من منا المحاربة الشجاعة فابتسمت والدة شمس

اصبحتا الاثنتان صديقتان و انضمت لهما عمة وائل و أكتمل الحزب النسائي الذي سيواجه رفيق و والده

أمَّا وائل و شمس كانا يتكلمان و يتكلمان و كأنهما أقسما أن ينهيا كل الكلام اليوم و والد شمس يتابع ملامح ابنته كيف كانت تتبدل من عصبية لابتسامة فخجل ثم حدة في النظرات ثم تهديد واضح من خلال اشارة اصبعها و أحياناً تكبّر و عجرفة ابتسم والدها لأن وائل قد احتمل كل هذا في فترة قصيرة و أكثر ما أعجبه نظرات وائل لأبنته كانت كلها حب و حنان و كأنه والدها و هي طفلته المدللة أطمئن والدها أن ابنته ستكون مع أب حنون و أخ يساندها و صديق يسمعها و حبيب وزوج

لم يكن يريد أكثر من هذا لابنته حمد الله و شكره و عاد للتفكير بأخيه

أما شمس بقيت في حالة حب بعد أن انتهت السهرة و انتابتها مشاعر غريبة و جديدة و جميلة عندها تذكرت عبارة كانت قد قرأتها منذ مدة

(هو رجلٌ أيقن أن النساء من بعدي مجرد إشاعة و أنا أنثى آمنتُ أن الحب من بعده حرام)

ثم ضحكت و قالت من قبلي ومن بعدي النساء مجرد إشاعة على حد تعبير والدته و عمته

أغمضت عيناها و نامت بسلام لم تعهده من قبل و قد أرضى غرورها أن وائل لم يُعجب بفتاة قبلها

اجتمعت أفراد العصابة النسائية في صباح اليوم التالي و تناقشن كثيراً إلى أن اتفقن أن ينتظرن لكي يعرفن على ما ينوي والد رفيق فعله ثم يهاجمن

على قولهن فليبدأ هو و البادي أظلم

عدت ثلاثة أيام و لم يُسمع لوالد رفيق حس و لا خبر بدأ والد شمس يقلق على أخاه و ليس منه

أما النساء فزاد قلقهن و لا يعرفن لماذا ؟

و في اليوم الرابع ذهب والد شمس و بحث عن أخيه في كل مكان لكنه لم يهتدي إليه ثم نصحه أحد أصدقائه أن يسأل في أقسام الشرطة و فعلاً سأل و لم يجد نتيجة إلّا أن أحد رؤساء هذه الأقسام و الأخير أوقف والد شمس بعد أن كاد يخرج و قال له

- ذكرني منذ متى تستفقد أخاك ؟
- منذ ثلاثة أيام
- لديه سيارة ؟
- نعم

- لا أعرف إن كان هو لكن منذ ثلاثة أيام حاولنا انقاذ أحدهم من سيارته التي كانت تشتعل نتيجة حادث مؤلم لكننا لم نستطع تفحم داخل سيارته لكن حتى الكاميرا لم تلتقط الحادث حيث أننا في مثل هذه الأحوال غالياً نستطيع التعرف على صاحب السيارة من خلال رقمها
- شعر والد شمس بغصة في قلبه و لم يتخيل منظر أخاه يحترق ثم قال هلّ لي بأيّ معلومات عن الحادث ؟
- نعم كان الوقت مساءً بين الثامنة و نصف و التاسعة في شارع الفرعي من الحي السابع
- أغمض والد شمس عيناه و هربت دمعة رغماً عنه قال هو أخي رحمه الله فالعنوان قريب من منزلنا و التوقيت هو التوقيت الذي خرج به من دارنا

ثم تابع الإجراءات و شاهد فيديو كان قد أخذه أحد رجال الشرطة أثناء احتراق السيارة من شخص واقف في الشارع هنا تأكد أنها سيارة أخيه وعلم بعد أن خرج والد رفيق من بيته و هو غاضباً كان يقود السيارة بسرعة جنونية و لم ينتبه أو يرى أمامه إنّه القدر إنا لله و إنا إليه راجعون

عاد للمنزل و أخبر زوجته بالخبر رأى السعادة تكسو ملامحها و كأنها تكاد تطير من الفرح ثم انتبهت لنفسها وقالت

- رحمه الله
- أعلم أن الخبر أسعدك ليس شماتة بأخي إنما تخلصتِ من هواجسكِ وخوفكِ منه على شمس حقكِ أنتِ أمّ لكنه أخي أبن أمي و أبي و أخذ يبكي و طلب من زوجته أن تدعه يجلس لوحده قليلاً

وافقت و خرجت من الغرفة ذهبت مسرعة و أمسكت بالهاتف لتزف خبر وفاته و كأنه بشرى سارّة أخبرت أم وائل و عمته و بالفعل كان الخبر بشرى سارّة عندهم جميعهم تنفسوا الصعداء بما فيهم شمس

في صباح اليوم الخامس من وفاة عمها خرجت شمس من منزلها و لم تبتعد عنه حتى وقفت سيارة بالقرب منها و خطفوها بعد أن أصبحت بالسيارة لم تبدي أي مقاومة بينما الجار الذي شاهدها تُختطف ذهب مسرعاً ليخبر والدها الذي تسمّر مكانه و شعر أن نبض قلبه توقف لم يعرف ماذا يفعل أخذ الهاتف و أتصل ب وائل الذي كان يستعد للخروج و قال له

- لا تخرج من المنزل
- لماذا يا عمي ؟

- لا شيء تلعثم و أعاد الكلمات لا شيء سنأتي أنا والدة شمس انتظرنا و انهى المكالمة

شعر وائل بأن هناك مصيبة تنتظرهم ثم أخبر والدته أن والد شمس و والدتها في الطريق لمنزلنا فسألته والدته

- لماذا ؟ هل حدث شيء ؟
- لا أعلم يا أمي
- و أين شمس ؟ لن تأتي معهم ؟
- لم يخبرني والدها شعر وائل بوخزة في صدره

وصلوا عائلة شمس لمنزل وائل استقبلهم و رأى والدة شمس تبكي و والدها يكاد يجن و أخبرهم والدها أن شمس اختُطِفت جن جنون وائل و هم بالخروج لكن والد شمس أوقفه فسألت أم وائل

- من سيخطف شمس ؟

- اجاب والدها لا أدري
- فقالت والدة شمس لو لم يكن عمها توفي و أبن عمها في السجن لأتهمهم بخطفها
- فسألت أم وائل هل أخبرتم الشرطة ؟
- أجاب والد شمس بالنفي و قال لا أعلم ماذا اقول لهم من الذي اختَطَف ابنتي و عدا عن ذلك سوف ينتظروا مرور ثمان و اربعون ساعة من ثم يبحثوا عنها و أول ما خطر في بالي هو وائل لم أشأ أن يخرج من المنزل خوفاً من أن يُختَطف هو الآخر
- بدأت والدتها تنوح و تقول أريد ابنتي

ظل الجميع جالسون في منزل وائل و انضمت لهم عمته

بينما سأل أحد الخاطفين شمس

- لما أنتِ هادئة ؟
- قالت له لأنكم أسديتم إليّ معروف
- نظر لها جميع من كان في السيارة و سألوها بصوت واحد معروف ؟ لماذا ؟
- لأن والدي كان سيزوجني من شاب لا أرغب في الزواج به لأني أحب أبن عمي رفيق و أتمنى لو أنني استطيع زيارته في السجن
- أصحيح ما تقولين ؟
- نعم لما أنتَ مندهش ؟
- إذا فلنأخذك ل رفيق و لتزوريه في السجن سيفرح بكلامكِ هذا
- بدت الفرحة على محياها و قالت أتمنى أن أراه لأنه حبيبي و قد اشتقت إليه لن أنسى معروفكم هذا

و بالفعل أخذوها للسجن و رافقها أحدهم للداخل و طلب من الضابط زيارة رفيق لكنها استطاعت أن تشير للضابط من خلال عينيها و حاجبيها بأن هناك مشكلة و تريد أن تبقى مع الضابط لوحدهم فهم الضابط و قال

- الزيارة لشخصٍ واحدٍ فقط من سيزوره أنتَ أم هي ؟
- فكر الشاب للحظة ثم قال هي
- إذاً فلتأتي معي أيتها الفتاة و أنت انتظرنا هنا

خرجا من مكتب الضابط و قالت له أنهم اختطفوها و استطاعت أن تعرف من خلال الحديث أن ابن عمها من أرسلهم و أنها أقنعتهم بحبها لأبن عمها و طلبت زيارته لتخبر الشرطة بهذا و اعطت الضابط مواصفات السيارة و الشابان اللذان ينتظران أرسل الضابط رجال بزيّ مدني ألقوا القبض عليهم و أدخلوهم لمكتب الضابط

عندها فهم الشاب الثالث الذي كان يرافقها و ينتظرها في مكتب الضابط أنها كذبت عليهم و أشاد الضابط بذكائها و أعاد لها هاتفها النقال الذي سبق و أخذته العصابة منها و ما إن خرجت حتى هاتفت والدها و بدأ والدها بوابل من الأسئلة و والدتها تشد الهاتف من يد والدها لكنها لم تجيب على أي سؤال فقط قالت لهم أنا ذاهبة للمنزل و سأخبركم بكل شيء حين أراكم و بالفعل ذهب الجميع لمنزل شمس و انتظروها و ما إن دخلت أخذتها والدتها بالأحضان و سجد والدها سجدة شكر لله و أخبرتهم بالقصة كاملة أعجب وائل بذكائها و طلب من والدها أن يحدد موعد العرس في نهاية الأسبوع وافق والدها و بدأ الجميع يجهزوا أنفسهم للعرس

لمحة عن الكاتب

الكاتبة أماني سليمان

سوريا محافظة الحسكة مدينة القامشلي

من مواليد ١٩٨٨/٨/٢

درست في كلية العلوم قسم كيمياء

أول مؤلفاتها كتاب خواطر بعنوان همسات النسمات

الثاني كتاب خواطر بعنوان صدى الأفكار

الثالث رواية بعنوان يُضمّدها الأمل

الرابع كتاب خواطر بعنوان عندما تتحدث الروح

الخامس رواية بعنوان أرواح تتأرجح على كفوف السحر

مسرحية بعنوان النبوءة

السادس كتاب خواطر بعنوان يا حزني السعيد

السابع رواية بعنوان قبل أن يراها